كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

وجوه التناسب البلاغي وأثره في المعاني في سورة الزلزلة

إعداد

د/ زمزم عبدالمنعم شحاته عبدالسيد

مدرس البلاغة والنقد
في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

(العدد التاسع والثلاثون)
(الإصدار الثاني ـ الجزء الخامس)
(١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م)

وجوه التناسب البلاغي وأثره في المعاني في سورة الزلزلة

زمزم عبدالمنعم شحاته عبدالسيد.
قسم البلاغة والنقد – كلية البنات الإسلامية بأسيوط.
البريد الإلكتروني : Zamzamabdalside.78@azhar.edu.eg

الملخص

تناول البحث وجوه التناسب البلاغي وأثره في المعاني في سورة الزلزلة، والتناسب يمثل بلاغة النص وفصاحته، فالفصاحة والبلاغة والتناسب كل منها يحمل دلالة تلتقي في كثير من الجوانب، لتدل على قيم جمالية في التعبير الفني، وتأتي أهمية الدراسة في هذا الموضوع؛ لكون التناسب في القرآن الكريم مدخلا مهما من المداخل التي تكشف عن مدى بلاغته وقوة فصاحته وإعجازه؛ حيث جاءت كل سورة وآياتها في أعظم ترتيب وأجمل تنسيق، إذ لا يمكن تغيير الترتيب بين السور والآيات، فكل سورة في مكانها متناسبة مع السورة السابقة واللاحقة، وكذلك كل آية متناسبة مع ما قبلها وما بعدها، ولذا فأي تغير فيه يهدم البنيان، وقد اعتمدت في دراستي على المنهج التحليلي البلاغي للسورة، في محاولة لتفصيل القول في كل أنواع التناسب فيها، وتوظيف ما اعتمده البيان القرآني من فنون القول وأساليب النظم، وفي نهاية الدراسة اتضح كيف تحققت كل وجوه التناسب في سورة الزلزلة وتعددت مظاهره، حيث ظهر التناسب بين السورة واسمها، ومطلعها ومقصدها وخاتمتها، وبينها وبين سابقتها ولاحقتها، وكذلك تحقق التناسب في البناء التركيبي للآيات، وبين آيات السورة وفاصلتها.

الكلمات المفتاحية : (الزلزلة، التناسب، البلاغي).

the aspects of rhetorical proportionality and its effect on the meanings in Surat (Al-Zalzalah)

Zamzam Abdel Moneim Shehata
Rhetoric and criticism department – Islamic girls' college – Assuit
Email: Zamzamabdalside. 78 @arhar.edu.cg

Abstract

This research deals with the aspects of rhetorical proportionality and its effect on the meanings in Surat (Al-Zalzalah), and this proportionality represents the rhetoric and eloquence of the text. The eloquence, rhetoric and proportionality each of them carries a connotation that converges in many aspects to indicate aesthetic values in artistic expression. The importance of studying this topic comes because proportionality in the Holly Qur'an is considered an important entry that reveals the extent of its eloquence, the strength of its eloquence and its miracles, as each of its suras and its verses were in the greatest order and the most beautiful coordination so that the arrangement between the suras and the verses cannot be changed. Each surah is proportional to what came before and after it, as well as every verse Therefore, change destroys the structure.

In my studies, I relied on the rhetorical analytical method of the Surah in an attempt to elaborate the saying in all kinds of proportionality in it and employ the arts of saying and coordination methods adopted by the Qur'an statement At the end, it became clear how all aspects of symmetry were achieved

in Surat Al-Zalzalah and its manifestations multiplied, as the correspondence appeared between the surah, its name, its beginning, its purpose and its conclusion, as well as between it and what came before and after it, as well as achieving proportionality in the structural construction of the verses and between the verses of the surah and its separation.

Keywords: (AlZalzalah , rhetorical, proportionality).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليما كثيرا ، وبعد:

إن روعة التناسب ودقة التلاحم بين آيات القرآن الكريم وسوره من الإعجاز البلاغي ، وعلم المناسبة من أجل علوم القرآن وأدلها على إعجاز بيانه ، وارتباط آياته وسوره ، وهو علم يعرف به علل الترتيب ، وهو سر البلاغة لآدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال(١).

والناظر في القران الكريم والباحث في أجزائه يجد سمة التناسب متجلية خير تجل ، وتمثل وجها من وجوه الإعجاز غير المنتهية (٢)، حيث نجد معانية وتراكيبه كل منها يطلب بعضه بعضا ، فلا نستطيع الفصل بينهما.

التناسب يمثل الوصف النهائي لتوظيف فنون البلاغة وأساليب النظم في اللغة واختيار المعاني المرادة، حتى يظهر النص المعني في وجه جمالي متناسق من حيث المضمون والشكل " المعاني والتراكيب"، والتناسب يمثل بلاغة النص وفصاحته، فالفصاحة والبلاغة والتناسب كل منها يحمل دلالة تلتقي في كثير من الجوانب، لتدل على قيم جمالية في التعبير الفني.

وقد كان سبب اختيار الدراسة في وجوه التناسب البلاغي في سورة الزلزلة ،حيث يتجلى فيها وجوه عديدة من وجوه أنواع التناسب ، بداية من موقعها في المصحف بين سورتي "البينة والعاديات " سابقتها ولاحقتها ، ومرورا باسمها ، والتناسب بين مطلع السورة وخاتمتها ، والتناسب الذي يتجلى بين المعاني التي

(١) يراجع ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ؛ للبقاعي، ت. عبدالرازق المهدي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ط ٢ ١٤٢٤هـ ، ج١،ص ٥.

(٢) يراجع إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ،ص ٢٢٧،٢٢٦.

عالجتها السورة ، والتناسب المتحقق في بنائها التركيبي ، والتناسب في فاصلتها، ولم يسبق أن درست سورة الزلزلة من هذا الجانب.

وتأتي أهمية الدراسة في هذا الموضوع ؛ لكون التناسب في القرآن الكريم مدخلا مهما من المداخل التي تكشف عن مدى بلاغته وقوة فصاحته ، حيث جاءت كل سورة وآياتها في أعظم ترتيب وأجمل تنسيق ، إذ لا يمكن تغيير الترتيب بين السور والآيات ، فكل سورة في مكانها متناسبة مع السورة السابقة واللاحقة ، وكذلك كل آية متناسبة مع ما قبلها وما بعدها ، ولذا فأي تغير فيه يهدم البنيان.

الدراسات البلاغية السابقة :

وقد حظيت دراسة التناسب في القرآن الكريم باهتمام من الباحثين ، وتعددت طرق التناول فيها ، ومن الدراسات السابقة :

١- التناسب في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، الجمهورية الجزائرية ، جامعة الشهيد حمة لخضر- الوادي - ، للباحثة / هناء غميمة ، ط.٢٠١٦-٢٠١٧مـ .

٢- التناسب في سورة محمد (دراسة بلاغية تحليلية) ، د. أحمد يحيى على محمد ،و ،د.أحمد محمد على محمد ، منشور في مجلة الرافدين ، العدد ستون ٢٠١١مـ.

٣- التناسب في سورة البقرة؛ د. طارق مصطفى محمد حميدة ، رسالة ماجستير جامعة القدس ، ٢٠٠٧مـ .

ولم أجد أحد تناول التناسب البلاغي في سورة الزلزلة.

٤- التصوير الصوتي في سورة الزلزلة ، جامعة الكوفة ، هادي سعدون هنون العارضي.

وغيرها من الرسائل التي تبحث في وجوه التناسب في القرآن الكريم، ولكن لم أجد من تناول وجوه التناسب البلاغي في سورة الزلزلة من جميع جوانبها.

منهج البحث :

وقد اعتمدت في دراستي على المنهج التحليلي البلاغي للسورة ، في محاولة لتفصيل القول في كل أنواع التناسب في السورة ،وسيتم توظيف ما اعتمده البيان القرآني من فنون القول وأساليب النظم بوصفها وسائل تعبيرية تشكل في مجموعها الصورة الكلية التي هدف القرآن الكريم إلى إظهارها من وراء توظيفه لهذه الفنون، لنؤكد حقيقة مفادها ، أن التناسب بصورة المختلفة في السورة جعلها جسما قائما متناسقا يخدم المعنى المراد فيها .

وقد أقمت البحث على مقدمة ، وتمهيد ، ثم ثلاثة مباحث، وخاتمة ، وثبت للمراجع .

- **المقدمة** ووضحت فيها موضوع البحث ، وأهميته ، وأسباب اختياره، ومنهجه، والدراسات السابقة

- **التمهيد** : وفيه أتناول:

أولا : مفهوم التناسب ، ودلالته ، وأهميته، وفائدته.

آخرا : بين يدي سورة الزلزلة (التعريف بالسورة ، وعدد آياتها ، وسبب نزولها).

ثم المباحث:

المبحث الأول: وجوه التناسب بين المطلع والمقصد والخاتمة في سورة الزلزلة وسابقتها ولاحقتها.

المبحث الثاني : وجوه التناسب البلاغي في البناء التركيبي لسورة الزلزلة.

المبحث الثالث: وجوه التناسب البلاغي في فواصل(خواتيم الآيات) سورة الزلزلة.

الخاتمة ، وتحوى أهم نتائج البحث ،ثم فهرس المصادر والمراجع .

والله أسأل أن يلهمنا الصواب والتوفيق ، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجه الله، ويتجاوز عما فيه من خلل أو زلل ، فهو القادر سبحانه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

المناسبة لغة واصطلاحا ودلالتها عند البلاغيين

المناسبة في اللغة :

المناسبة في اللغة: ، يقول ابن فارس ت ٣٩٥هـ: (" نسَبَ " النُّونُ وَالسِّينُ وَالْبَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ قِيَاسُهَا اتِّصَالُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ. مِنْهُ النَّسَبُ، سُمِّيَ لِاتِّصَالِهِ وَلِلِاتِّصَالِ به)[١].

يقول الزركشي ت ٧٩٤هـ: (والمناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يُناسب فلانًا؛ أي: يَقرُب منه، ويُشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل؛ كالأخوين وابن العم ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنًى رابط بينهما، وهو القرابة."[٢].

وقال السيوطي : (الْمُنَاسِبَةُ فِي اللُّغَةِ الْمُشَاكَلَةُ وَالْمُقَارَبَةُ وَمَرْجِعُهَا فِي الْآيَاتِ وَنَحْوِهَا إلَى مَعْنًى رَابِطٍ بَيْنَهَا عَامٍّ أَوْ خَاصٍّ عَقْلِيٍّ أَوْ حِسِّيٍّ أَوْ خَيَالِيٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَلَاقَاتِ أَوِ التَّلَازُمِ الذِّهْنِيِّ كَالسَّبَبِ وَالْمُسَبِّبِ وَالْعِلَّةِ وَالْمَعْلُولِ وَالنَّظِيرَيْنِ وَالضِّدَّيْنِ وَنَحْوِهِ ، وَفَائِدَتُهُ جَعْلُ أَجْزَاءِ الْكَلَامِ بَعْضِهَا آخِذًا بِأَعْنَاقِ بَعْضٍ فَيَقْوَى بِذَلِكَ الِارْتِبَاطُ وَيَصِيرُ التَّأْلِيفُ حَالُهُ حَالُ الْبِنَاءِ الْمُحْكَمِ الْمُتَلَائِمِ الْأَجْزَاء)[٣]

---

(١) مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م..ج ٥، ص ٤٢٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، ج ١، ص ٣٥.

(٣) الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي، ت فواز أحمد ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ط ١ ٢٠٠٣م ، ٣٧١/٣

تعريف المناسبة اصطلاحا :

قال الزركشي نقلا عن أبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ) : "هو ارتباط آي القرآن بعضها ببعض؛ حتى تكون كالكلمة الواحدة، مُتسقة المعاني، منتظمة المباني" .[١]

يقول البقاعي ت ٨٨٥هـ : (علم مناسبات القرآن: علم يعرف منه عِللُ ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال) [٢].

وقد أطلق القاضي الفراهيدي ١٣٤٩هـ على التناسب اسم النظام ، حيث قال :(وبالجملة فمرادنا بالنظام أن تكون السورة كلامًا واحدًا ، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة أو بالتي قبلها أو بعدها ...، وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلاما واحدا ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر)[٣].

ويقول الدكتور محمد بازمول: "هو معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض " [٤]

وهذه االتعريفات تظهر أهمية التناسب في إظهار مواطن الجمال في النص القرآني وإعجازه ، ومن أبرز شروط الفصاحة ، لبحثه في الارتباط المعنوي بين الآيات.

---

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي ج١، ص ٣٦.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ؛ للبقاعي، ت. عبدالرازق المهدي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ط ٢ ١٤٢٤ ج١، ص ٥، ٦.

(٣) دلائل النظام ، عبدالحميد الفراهيدي الهندي، المطبعة الحميدية ، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ ص ٧٥. وينظر المناسبة في القرآن الكريم ،محمود حسن عمر جودة ، شبكة الألوكة ، ص١٠.

(٤) علم المناسبات في السور والآيات؛ للدكتور محمد عمر سالم بازمول، الناشر :المكتبة المكية ، مكة المكرمة ، ط١ ٢٠٠٢م ، ص ٢٧.

دلالة المناسبة الإصطلاحية عند علماء البلاغة:

وقد تناولت كتب البلاغة والنقد مفهوم التناسب تحت اصطلاحات عديدة، مثل: المناسبة ، الائتلاف ، التوافق ، مراعاة النظير ، وغيرها .

والناظر في كتب البلاغة لا يكاد يظفر بتعريف محدد يتفق عليه البلاغيون للتناسب ، فمنهم من أشار إليه شارحا مفهومه اللغوي عن طريق الاستشهاد ، ومنهم من أتى بالأمثلة دون أن يحدد دلالة التناسب الإصطلاحية إلا بإشارات مقتضبة تضمنت دلالته الاصطلاحية التي لم تختلف عن دلالته اللغوية كثيرا[١].

فالجاحظ في قوله: (لكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء: فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال)[٢]

يتحدث الجاحظ عن مناسبة الألفاظ مع الأغراض – فيطابق بين المناسبة والقاعدة البلاغية التي تقتضي أن لكل مقام مقالاً – ومطابقةِ الكلام لمقتضى الحال، وهذا بطبيعة الحال جزء من المناسبة، وهو مناسبة النص للواقع الذي يُلقى فيه.

---

(١) يراجع بحث : التناسب في سورة محمد (دراسة بلاغية تحليلية) ، د. أحمد يحيى على محمد ، ود. أحمد محمد على محمد ، منشور في مجلة الرافدين ، العدد ستون ٢٠١١مـ ، ص٤.

(٢) الحيوان المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ، (ج٣، ص ١٧).

وقال الخطيب القزويني : (ومنه مراعاة النظير ويسمى التناسب والائتلاف والتوفيق أيضا ، وهو : أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد)[١].

والتناسب من حيث هو مطلب نقدي ، وعنصر بلاغي ، يعني بالتجانس والتوافق بين المعاني المتجاورة أو المتداعية ، ويعنى كذلك بالتوافق والانسجام بين المعاني والألفاظ ، ويقابله في العيوب النقدية ما يعرف بعدم المشاكلة ،أو التنافر .

وقال ابن سنان عند تعليقه على بيت لأبي تمام ، يقول: (فهذه هي المناسبة التي تؤثر في الفصاحة ، والشعراء الحذاق والكتاب يعتمدونها)[٢].

ويمثل التناسب عند التنوخي (٣٨٤ هـ) نوعا من أنواع البيان إذ قال : (ومن البيان التناسب وهو في الألفاظ وفي المعاني ، وأكثر ما يحتاج إليه في الألفاظ ، لأن المعاني التي تطلب لا يلزم فيها ترتيب ولا مناسبة فإن المتكلم قد يفتقر إلى ذكر الأشياء المتناقضة والمتضادة والمتغايرة والمتنافرة وحيث لا يفتقر إلى شيء من ذلك فهو تناسب)[٣].

ومراده بالبيان البلاغة ، وكأنه يصف براعة المنشئ في نظمه ، وخلو كلامه مما يخرجه عن وصف البلاغة والبراعة والبيان وهي التضاد والتغاير والتنافر ، وهي من وجوه الكلام المختلف غير المتلائم أو المناسب في أجزائه.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، دار الإحياء والعلوم ، بيروت ، ط٤، ص ٣٢٣.

(٢) سر الفصاحة المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: ٤٦٦هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م، (ص ١٧٢).

(٣) الأقصى القريب في علم البيان، محمد محمد التنوخي ، مطبعة السعادة ، ط١، ١٣٢٧هـ ، (ص ٩٢).

قال النويري : (التناسب : هو ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر)[١]، وهذا التعريف تبدو فيه معالم مصطلح التناسب ، مع اشتماله على وصفه للمعاني بـ"المتآخية التي تتلاءم" ، وهذا يدل على خلو المعاني مما يعتريها من صفات تخرجها عن طبقة البلاغة .

وابن معصوم المدني قال : (ومراعاة النظير سماه قوم بالتوفيق، وآخرون بالتناسب وجماعة بالائتلاف، وبعضهم بالمواخاة لمعنى ، وهو عبارة عن أن يجمع المتكلم بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد سواء كانت المناسبة لفظا لمعنى، أو لفظا للفظ، أو معنى لمعنى، إذ القصد جمع شيء وما يناسبه من نوعه، أو ملائمة من إحدى الوجوه [٢]

(وإذا انشغل أكثر البلاغيين والمفسرين؛ كالجرجاني، وصاحب الكشاف، وصاحب التحرير والتنوير، وغيرهم – بالنظم داخل الآية القرآنية المفردة غالبًا، أو بين الآيات المتجاورة، فإن علم التناسب ينظر إلى "النظام" الرابط بين أجزاء السورة جميعها، بل يمتد إلى القرآن كله، ومِن ثَم فإن من تمام بلاغة القرآن وبلاغه المبين أن يُتعامل معه باعتباره وَحدةً واحدة) [٣]

وبذا يتضح من التعريفات السابقة أن هناك تقاربًا شديدًا بين علم المناسبة وعلم البلاغة ، مما جعل البقاعي يجعله سر البلاغة ، فعلم التناسب البلاغي كما

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ) الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ ، (١٠٧/٧).

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع ، ابن معصوم المدني ، تحقيق شاكر شكر ، مكتبة الفرقان ، كربلاء ، ١٩٦٨، ج٢، ص ٢٩٨.

(٣) التناسب في سورة البقرة؛ د. طارق مصطفى محمدحميدة ، ص ١٤، رسالة ماجستير ، جامعة القدس ، ٢٠٠٧مـ .

هو معروف عند البلاغيين هو الترتيب والاتساق والتآخي ، وعلم المناسبة هو معرفة علل وأسباب هذا الترتيب والتآخي[١].

أهمية التناسب :

إن معرفة التناسب وقواعده وأصوله يعتبر آداة من أدوات الدارس لمعرفة أسرار النظم القرآني الكريم ومعرفة بلاغة نظمه ، ولذا وردت على ألسنة العلماء ما يدل على ذلك.

يقول الزركشي ت ٧٩٤هـ: (واعْلَمْ أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول، ويُعرف به قدر القائل فيما يقول)[٢].

ويقول الفخر الرازي :(... القرآن الكريم كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته) [٣].

وجعله البقاعي سر البلاغة في قوله : (علم مناسبات القرآن.....هو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال) [٤].

ويقول محمد عبد العظيم الزرقاني : (إن القرآن الكريم بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره ، مبلغا لا يدانيه فيه أي كلام آخر ، مع طول نفسه ، وتنوع مقاصده وافتنانه في الموضوع الواحد ، وآية ذلك إذا تأملت في القرآن الكريم وجدت جسما كاملا تربط الأعصاب والجلود بين أجزائه ..... فبين كلمات

---

(١) التناسب في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، الجمهورية الجزائرية ، جامعة الشهيد حمة لخضر– الوادي – ، للباحثة / هناء غميمة ، ط.٢٠١٦– ٢٠١٧م ، ص١٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن؛ للزركشي، ج ١، ص ٣٥.

(٣) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ ، ١٠٦/٧.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ؛ للبقاعي، ج١، ص ٥، ٦.

الجملة الواحدة من التآخي والتناسق ما جعلها رائعة التجناس والتجاذب ، وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط ما جعلها وحدة صغيرة متآخذة الأجزاء متعانقة الآيات ، وبين سور القرآن من التناسب ما جعله كتابا سوي الخلق، حسن السمت ... يعرف هذا الإحكام والترابط كل من ألقى باله إلى التناسب الشائع فيه من غير تفكك ولا تخاذل ، ولا انحلال ولا تنافر ، بينما الموضوعات مختلفة ومتنوعة)[1].

ثانيا : بين يدي سورة الزلزلة (التعريف بالسورة ، وسبب نزولها ، وفضائلها):

التعريف بالسورة:

السّورة مَكِّيّة، آياتها ثمان فى عَدّ الكوفة، وتسع فى عدّ الباقين ، وكلماتها خمس وثلاثون ، وحروفها مائة وتسعَ عشرة [2]، وقيل مدنية[3] ؛ حيث إن (أسلوب هذه السورة المدنية وموضوعها يشبه أسلوب وموضوع السور المكية، لإخبارها عن أهوال القيامة وشدائدها)[4].

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبدالعظيم الزرقاني ، تحقيق/ فواز أحمد زامرلي ، الناشر/ دار الكتاب العربي – بيروت – ط١ ١٩٩٥مـ ، ٢/ ٢٤٨.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ،(٥٣٥/١)

(٣) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد المؤلف: محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: ١٣١٦هـ) المحقق: محمد أمين الصناوي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٧ هـ ، (٥٣٣/٢).

(٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ ،(٢٥٥/٣٠، ٢٥٦).

سبب نزول سورة الزلزلة وعلاقته بالتناسب:

كان الكفار يسألون كثيرا عن الساعة ويوم الحساب، فيقولون: (أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ)[١]، (مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ؟)[٢]، (مَتى هذَا الْفَتْحُ؟)[٣] ، ونحو ذلك، فأبان لهم في هذه السورة علامات القيامة فحسب، ليعلموا أن علم ذلك عند اللَّه، ولا سبيل إلى تعيين ذلك اليوم للعرض والحساب والجزاء[٤].

وجاء في أسباب النزول للنيسابوري: (أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ الْبَغْدَادِيُّ وَمُحَمَّدُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُزَكِّي قَالَا: أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرِو بْنُ مطر، أخبرنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ الذهلي، أخبرنا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، عَنْ حُيَيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ؟نزلت(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَاعِدٌ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– (مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ: أَبْكَانِي هَذِهِ السُّورَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَوْ أَنَّكُمْ لَا تُخْطِئُونَ وَلَا تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللَّهِ أُمَّةً مِنْ بَعْدِكُمْ يُخْطِئُونَ وَيُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ")[٥] .

فنلاحظ أن التناسب متحقق بين السورة وسبب نزولها ، والعلاقة بين السورة وسبب نزولها علاقة السؤال بالجواب (تفسيرية توضيحية) ؛ إذ إن السورة جواب

---

(١) القيامة: ٦ .

(٢) الملك: ٢٥ .

(٣) السجدة : ٢٨.

(٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ ،(٣٠/ ٢٥٦)

(٥) أ سباب نزول القرآن المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان ، الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م ،(٤٦٢/١).

عن استفسار وسؤال هؤلاء الكفار عن وقت قيام الساعة ، وتوضيح لإبهام كائن في أذهانهم ، ففي السورة بيان لعلامات القيامة ، وكذلك وصف ليوم البعث وخروج الأجداث من الأرض المتزلزلة، ومن هنا يتحقق التناسب.

وجه التناسب في فضائل السورة:

ورد في فضائل سورة الزلزلة كونها (تعدل نصف القرآن ، وفي حديث آخر أنها تعدل ربع القرآن، ولا تعارض، فالأول نظر إليها من جهة أن الأحكام تنقسم إلى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة، وهذه السورة اشتملت على أحكام الآخرة إجمالاً، وزادت على القارعة بإخراج الأثقال وأن كل أحد يرى كل ما عمل ، والثاني نظر إليها باعتبار ما تضمنه الحديث الذي رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه أن النبي ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قال : لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر[1]، فاقتضى هذا الحديث أن الإيمان بالبعث الذي قررته هذه السورة ربع الإيمان الكامل الذي دل عليه القرآن، وأيضاً فأمر الدين أربعة أجزاء : أمر المعبود، وأمر العبيد، وأمر العبادة، وأمر الجزاء، فهذه السورة تكفلت بأمر الجزاء، وسورة الكافرون ربع لأنها في أمر العبادة على وجه الخصوص والخفاء وإن كانت على وجه التمام والوفاء، وسورة النصر ربع لأنها لأمر العبادة على وجه العموم والجلاء والظهور والعلاء – والله الهادي للصواب وإليه المآب .[2]

فوجه التناسب بين كون سورة الزلزلة تعدل نصف القرآن ، علاقة تطابقية؛ باعتبار اشتمال السورة على أحكام الآخرة ، التي هي نصف الأحكام ، فالأحكام

---

(١) سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م ، كتاب القدر عن رسول الله ، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، (٤٥٢/٤).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،٢٠٩/٢٢

المجملة المشتمل عليها القرآن تنقسم إلى قسمين أحكام الدنيا وأحكام الآخرة ، فالتناسب واضح من هذه الجهة.

وعلى كون السورة تعدل ربع القرآن فالتناسب واضح ومتحقق كذلك من هذه الجهة، وعلاقته تطابقية، باعتبار كون الإيمان يشترط في تحققه أربع أمور شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله ، والإيمان بالموت، والإيمان بالبعث بعد الموت، والسورة تقرر ربع الإيمان وهو الإيمان بالبعث، وبذا كان التناسب ظاهرًا ومتضحًا.

المبحث الأول

وجوه التناسب بين المطلع والمقصد والخاتمة في سورة الزلزلة وسابقتها ولاحقتها

وقد جاءت سور القرآن مرتبة بترتيب دقيق معجز ، فلا يتصور المتأمل أن يأتي بعد كل سورة إلا أختها، لما بينهما من الصلات والوشائج والعلاقات الوثيقة ، كما أن آياته قد جاءت في أبدع نظام وأدق ترتيب ، فنرى كل سورة من سور القرآن متناسبة تناسبا عجيبا بين ما قبلها وما بعدها، ومتناسبة مع اسمها ومقصدها ، ما يؤكد إعجاز هذا الكتاب الحكيم ، واستحالة أن يكون من صنع بشر، وفي هذا المبحث سندرس وجوه التناسب المختلفة في سورة الزلزلة كما يلي :

١- وجه التناسب بين اسم السورة ومطلعها.

٢- وجوه التناسب بين مطلع السورة ومقصودها الأعظم وأغراضها الكلية .

٣- وجه التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها.

٤- وجوه التناسب بين السورة وسابقتها(سورة البينة) .

٥- وجوه التناسب بين السورة ولاحقتها (سورة العاديات وسورة القارعة).

١- وجه التناسب بين اسم السورة ومطلعها:

في النص البشري تظهر عبقرية المنشئ في بناءه للنص ، من ناحية اختياره لعنوان نصه ، ليوحي بمضمونه ، وأضحت مسألة اختيار العنوان من المسائل التي أولاها النقاد أهمية كبرى ؛ لأن العنوان يختزل في دلالته أفكار النص ومضامينه عن طريق الإيحاء ، وكلما كان ألصق بالمضامين والأفكار التي يعني بها النص

كان أقرب إلى الإبداع وإلى الوحدة غير القابلة للتجزئة [١]. إن القرآن الكريم هو الذي أسس هذه الفكرة وارتقى بلغة الأدباء وأساليبهم في نصوصهم .

وسورة الزلزلة سُمِّيَتْ (فِي كَلَامِ الصَّحَابَةِ سُورَةَ إِذا زُلْزِلَتِ.... وَسُمِّيَتْ فِي كَثِيرٍ مِنْ الْمَصَاحِفِ وَمِنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ(سُورَةَ الزِّلْزَالِ)[٢]، جاء في التحرير والتنوير (سميت سورة الزلزلة أو الزلزال)[٣] .

وقد سميت بهذا الاسم (لافتتاحها بالإخبار عن حدوث الزلزال العنيف قبيل يوم القيامة : (إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها [٤] ، فقد تحقق التناسب اللفظي بين اسم السورة (الزلزلة) وبدايتها ، لافتتاحها بقوله : (إِذا زُلْزِلَتِ) ، فالعلاقة لفظية تطابقية ، كما أنَّ الزلزلة اسم من أسماء يوم القيامة، والزلزال هو الاهتزاز الشديد السريع والمضطرب.

(١) يراجع ، بحث التناسب في سورة محمد دراسة بلاغية تحليلية ، د.أحمد محمد علي، ود.أحمد يحيى علي، آداب الرافدين، العدد (٦٠)٢٠١١مـ ،-١٤٣٢هـ .

(٢) التحرير والتنوير ، ٤٨٩/٣٠.

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ ،(٢٥٥/٣٠)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ،(٥٣٥/١)

(٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ ،(٢٥٥/٣٠)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ،(٥٣٥/١)

وكذلك اسم السورة يتناسب مع مضمونها ومحتواها تناسبًا معنويًا، فالسورة كاملة تتحدث عن يوم القيامة في آياتها الثماني، وحدوث الاهتزاز والاضطراب وفقد الاستقرار ، وحدوث البعث والنشور لجميع الخلائق ، وما يحدث لهم من اضطراب وقت خروجهم حتى حديثهم في هذه اللحظة وسؤالهم (مالها؟) يدل على الاضطراب والخوف والهلع، ثم في النهاية من يجد في كتابه خيرا ، تحصل له الراحة من الاضطراب والزلزال، ومن يجد في كتابه شرا يزداد اضطرابا.

٢- **وجوه التناسب بين مطلع السورة ومقصودها الأعظم وأغراضها الكلية.**

ترتبط مقاصد سورة الزلزلة باسمها ، فالزلزلة اسم من أسماء يوم القيامة ، وآيات سورة الزلزلة تسرد بعض علامات يوم القيامة ، وتبدأ بأسلوب شرط يمهد لاستقبال مقاصد سورة الزلزلة .

وإذا تأملنا مضمون السورة وجدناها تدور حول (بيان أَحوال القيامة وأَهوالها، وذكر جزاءِ الطَّاعة، وعقوبة المعصية ، وذكر وزن الأَعمال فى ميزان العَدْل فى قوله (فَمَنْ يَّعْمَل) إلى آخره)[١]، ومن طريق آخر السورة تدل على (إِثْبَاتُ الْبَعْثِ وَذِكْرُ أَشْرَاطِهِ وَمَا يَعْتَرِي النَّاسَ عِنْدَ حُدُوثِهَا مِنَ الْفَزَعِ، وَحُضُورُ النَّاسِ لِلْحَشْرِ وَجَزَائِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَهُوَ تَحْرِيضٌ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَاجْتِنَاب الشَّرّ)[٢].

وإذا تلمسنا التناسب في السورة وجدناه يتجلى في السورة كلها بينها وبين مضامينها، فأحوال يوم القيامة وجزاء المؤمنين والكافرين ووزن أعمالهم ، كلها مراحل مرتبطة ببعضها ويستلزم كل منها الآخر، وكلها مشاهد للدار الآخرة.

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ،(٥٣٥/١).

(٢) التحرير والتنوير ، ص٣٠/٤٩٠.

ومن ناحية أخرى نجد أن مطلع السورة يتناسب مع مقصودها، ومضمونها؛ من حيث إن بداية الآية بالظرف (إذا) وهو ظرف يدل على تحقق الجواب لتحقق الشرط، وبذا يتحقق حدوث البعث وذكر أشراطه ، وتخويف الناس من هذا المشهد، الدافع لهم لفعل الخيرات في الدنيا، حتى يجتنبوا العقاب في الآخرة ؛ فمطلع السورة تأكيد للمقصد الأعظم للسورة، ولذا كان من المناسب البدء بالظرف (إذا) ، (وَفِي ذَلِكَ تَنْزِيلُ وُقُوعِ الْبَعْثِ مَنْزِلَةَ الشَّيْءِ الْمُحَقَّقِ الْمَفْرُوغِ مِنْهُ بِحَيْثُ لَا يُهِمُّ النَّاسَ إِلَّا مَعْرِفَةُ وَقْتِهِ وَأَشْرَاطِهِ فَيَكُونُ التَّوْقِيتُ كِنَايَةً عَنْ تَحْقِيقِ وُقُوعِ الْمُوَقَّتِ)[1].

وكذلك (مقصودها انكشاف الأمور، وظهور المقدور أتم ظهور، وانقسام الناس في الجزاء في دار البقاء إلى سعادة وشقاء، وعلى ذلك دل اسمها بتأمل الظرف ومظروفه، وما أفاد من بديع القدر وصروفه)[2].

٣- **وجه التناسب بين مطلع سورة الزلزلة وخاتمتها**:

التناسب الذي يربط بداية السورة بخاتمتها هو سر من أسرار الإعجاز ، وبين بداية السورة وخاتمتها تناسب علاقته الاستلزام ، فبداية السورة يستلزم هذه الخاتمة، حيث إن البداية تأكيد حدوث الزلزلة وإخراج الأرض جميع الموتى، وهذا يستلزم أن الجميع سيحاسبون على أقل القليل من أعمالهم خيرا كان أم شرا، فلا يغادر الله شيئا ولو كان شيئا ضئيلا مثقال ذرة، فالعلاقة بين مطلع السورة وخاتمتها، كعلاقة المقدمة بالنتيجة في قوة الترابط والتماسك ، فبداية الآية وحدوث الزلزال الأعظم، والخروج من القبور ومعرفة كل إنسان بما عمل من الخير والشر ، كل ذلك مقدمة ومعطيات للنتيجة العظمى ، وهي مجازاة الجميع على كل أعمالهم خيرا أم شرا بميزان العدل .

---

(١) التحرير والتنوير ، ص٣٠/٤٩٠.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،(٢٢/٢٠٢).

ويظهر التناسب بين بداية السورة وخاتمتها في التقابل بين أدوات الشرط، فبداية السورة أداة الشرط (إذا زلزلت الأرض)، والخاتمة أداة الشرط (ومن يعمل مثقال ...إلخ)، حيث إن حدوث الزلزلة أمر مؤكد لا شك فيه ، ولذا ناسبه أداة الشرط "إذا" الدالة على التحقيق ، ومجازاة الله لكل الناس على أعمالهم ولا يغادر من شرورهم ولو مثقال ذرة فيه احتمال لعفو من الله عن ذنوب العصاه، واحتمال مجازاة المحسن المؤمن بمضاعفة الأعمال وزيادة، ولذا استخدم أداة الشرط (من) ولم يستخدم (إذا) الدالة على التأكيد، فعفو الله عن المذنب، والإغداق على المؤمن بأكثر من أعماله أمر محتمل، فالله يعامل خلقه بكرمه ولطفه.

يقول البقاعي:(وقد رجع آخرها على أولها بتحديث الأخبار وإظهار الأسرار، وقد ورد في حديث الأعرابي أن هذه السورة جامعة لهذه الآية الأخيرة، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : إنها أحكم آية في القرآن، وكان رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يسميها الفاذة الجامعة، ومن فقه ذلك لم يحقر ذنباً وإن دق؛ لأنه يجتمع إلى أمثاله فيصير كبيراً كما قال ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لعائشة رضي الله عنها :(إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالباً)[1].

١ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،٢٠٨/٢٢

٤-: وجوه التناسب بين سورة الزلزلة وسابقتها (سورة البينة):

وردت سورة الزلزلة عقب سورة البينة ، وعلاقتها بها ، علاقة توضيح بعد الإجمال ، فقد جاءت سورة الزلزلة ؛ (ليبين بها حصول جزاء الفريقين ومآل الصنفين المذكورين في قوله : (إن الذين كفروا من أهل الكتاب) إلى قوله : (شر البرية) ، وقوله : (إن الذين آمنوا ..) إلى خاتمة السورة ، ولما كان حاصل ذلك افتراقهم على صنفين ولم يقع تعريف بتباين أحوالهم، أعقب ذلك بمآل الصنفين واستيفاء جزاء الفريقين المجمل ذكرهم فقال تعالى :(يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ)[1] ، وبذا نجد التناسب واضحا بينهما ، ففي سورة البينة ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ صنفين من البشر(المؤمنين والكافرين) في صورة مجملة ، وجاء في سورة الزلزلة ليوضح ويفسر هذين الصنفين وجزاء كل منهما واختلاف أحوالهم ، ففصل بعدما أجمل ، فحصل التناسب الذي يقوي التلاحم والتماسك بين السور .

والتناسب بين سورة الزلزلة وما قبلها ، يعتبر وجها من وجوه التناسب بين سور القرآن ، حيث وجد الارتباط المعنوي الوثيق بينهما ، مما يدل أبلغ دلالة على أن القرآن الكريم كتاب معجز جاءت سوره بهذا النظام الدقيق وكأنها سلسلة تتصل حلقاتها أقوى اتصال من كل الوجوه.

ومن وجوه التناسب بين السورتين ، اعتماد سورة البينة على أسلوب التقابل في ذكر المؤمنين والكافرين ، وسورة الزلزلة كذلك اعتمدت على أسلوب التقابل في جزاء الكافرين والمؤمنين.

---

(١) البرهان فى تناسب سور القرآن المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ) تحقيق: محمد شعباني دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ، (ص ٣٧٤).

ومن وجوه التناسب بينها وبين ما قبلها ما ذكره السيوطي في قوله : (أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ فِي السُّورَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَعِيدَ الْكَافِرِ وَوَعْدَ الْمُؤْمِنِ أَرَادَ أَنْ يَزِيدَ فِي وَعِيدِ الْكَافِرِ، فَقَالَ : أُجَازِيهِ حِينَ يَقُولُ الْكَافِرُ السَّابِقُ ذكره : ما للأرض تزلزل)[1] وعلى هذا الرأي يكون التناسب بين سورة البينة وسورة الزلزلة ، متحقق وعلاقته الترقي[2] في وعيد الكفار، ففي سورة البينة ذكر وعيد الكافرين بالحساب والعقاب ، وهنا ترقى في ذكر العقاب ، فالله لا يترك صغيرة ولا كبيرة بدون حساب وفي ذلك بث التخويف في نفوس السائلين المشككين في قيام الساعة، فالسورة رسمت المشهد كاملا في نفوسهم ، وبثت الفزع والخوف في قلوبهم ، وبذا يتحقق التناسب بين السورتين الذي يقوي الترابط والتلاحم بين سور القر آن الكريم.

ومن وجوه التناسب بين سورة الزلزلة وسابقتها (سورة البينة) ما قاله البقاعي: (لما ختم تلك بجزاء الصالح والطالح في دار البقاء على ما أسلفوه في مواطن الفناء، ذكر في هذه أول مبادىء تلك الدار وأوائل غاياتها، ....، فقال معبراً بأداة التحقق لأن الأمر حتم لا بد من كونه (إذا)[3]، فقد ذكر في سورة البينة جزاء المؤمنين والكافرين في الآخرة التي هي دار البقاء ، فناسب ذلك أن يذكر في سورة الزلزلة أوائل المشاهد التي تحدث في الحياة الأخروية ، وزاد في المبالغة في

(١) تناسق الدرر في تناسب السور ، للسيوطي ، دراسة وتحقيق ، عبدالقادر أحمد عطا ، طبع: دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ،١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م ، ص ١٤٢.، وينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ ،(٢٥٥/٣٠).

(٢) الترقي : هو أن يذكر معنى ، ثم يردفه بأبلغ منه ، نحو : عالم نحرير ، وشجاع باسل ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، ضمن شروح التلخيص ، لبهاء الدين السبكي ، (٤/٤٧٣) ، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة : عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر .

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،(٢٠٢/٢٢).

التحذير بإخباره عز وجل بصورة وهيئة ما يكون عليه الجزاء في الدار الآخرة دار البقاء، فكأن سورة الزلزلة تكملة لما ذكر في سورة البينة.

٥- وجوه التناسب بين سورة الزلزلة ولاحقتها(سورة العاديات وسورة القارعة.

نجد التناسب والتلاحم ينسج خيوطه بين سورة الزلزلة وسورة العاديات ، ففي نهاية سورة الزلزلة، خُتمت بالجزاء لأعمال الشر يوم الفصل (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) الآية: ٨ ، وفي سورة العاديات بين سبب أعمال الشر هذه وهو انطباع الكافرين على كفران النعم والبخل والشح بما أنعم الله به عليه ، ومن هذه النعم (العاديات) وهي الدواب التي من شأنها الجري بغاية السرعة ، فالعلاقة بين السورتين الاستلزام ، يقول البقاعي : (لما ختم الزلزلة بالجزاء لأعمال الشر يوم الفصل، افتتح هذه ببيان ما يجر إلى تلك الأعمال من الطبع، وما ينجر إليه ذلك الطبع مما يتخيله من النفع، موبخاً من لا يستعد لذلك اليوم بالاحتراز التام من تلك الأعمال، معنفاً من أثر دنياه على أخراه، مقسماً بما لا يكون إلا عند أهل النعم الكبار الموجبة للشكر، فمن غلب عليه الروح شكر، ومن غلب عليه الطبع – وهم الأكثر - كفر فقال :(والعاديات.)[1].

وجاء في روح المعاني :إن قوله عزّ وجل في سورة الزلزلة : (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) يناسب قوله في سورة العاديات : (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ)[2] ، فإخراج الأرض لما في بطنها من أثقال ، شاملٌ لخروج الموتى من القبور وغيرها، فما ذكر في سورة العاديات (إخراج الموتى) جزء من كل مما ذكر في سورة الزلزلة ، وهذا من وجوه التناسب بين السورتين.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢٢/٢١١،٢١٠.

(٢) روح المعاني ، (١٥/ ٤١٤).

وجاء في البرهان عن وجه التناسب بين سورة الزلزلة والعاديات: (أقسم سبحانه على حال الإنسان بما هو، فقال : (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ)، أى لكفور يبخل بما لديه من المال كأنه لا يجازى ولا يحاسب على قليل ذلك كثيره من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وكأنه ما جمع بقوله:(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره)، (وإنه لحب الخير)، أي: المال، (لشديد): لبخيل، (وإنه على ذلك لشهيد) : وإن الله على ذلك لمطلع فلا نظر في أمره وعاقبة مآله ،(إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠) ، أى ميز ما فيها من الخير والشر ليقع الجزاء عليه(إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ) : لا يخفى عليه شيء من أمرهم ، (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (۝٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ(۝٨) [1]، فنجد أن السورتين متداخلتان في المقصد والهدف ، ومن حيث كون كل منهما بيان أن الله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها خيرا أم شرا، والجزاء واقع لا محالة من جنس العمل ، فحالة الجحود من الإنسان وكفره لنعم الله ، ظنا منه أن الله لا يعلم ذلك ، ولكن الله أقسم أنه خبير بكل صغيرة وكبيرة مطلع عليها ، وسيجازى كل إنسان بما قدم ، وسيأتي يوم الحشر يوم إخراج القبور ما فيها عندما تخرج الأرض جميع الأثقال، وسيجازى الجميع خيرا أم شرا بما قدم ولا يغادر الله شيئا ولو مثقال ذرة، فبينهما تناسب علاقته التفصيل بعد الإجمال ، فخاتمة سورة العاديات (إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ) الآية :١١ ، توضح أن الله خبير بكل ما يعمل خيرا أم شرا بشكل مجمل، وجاءت خاتمة سورة الزلزلة ، تكملة لذلك وأكثر توضيحا وتفصيلا ، فالله خبير ، وسيجازي الجميع على أعمالهم لا يغادر مثقال ذرة خيرا أم شرا.

---

(١) البرهان فى تناسب سور القرآن المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ) تحقيق: محمد شعباني دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ، (٣٧٤).

أما علاقة التناسب بين سورة الزلزلة وسورة القارعة ، فما ذكره البقاعي يوضح ذلك ؛ حيث (ذكر في سورة الزلزلة أول مبادىء دار البقاء "الآخرة" وأوائل غاياتها، وذكر في القارعة ثواني مبادئها وآخر غاياتها [1]، (فَالْقارِعَةُ هَنَا مُرَادٌ بِهَا حَادِثَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَجُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْحَادِثَةَ هِيَ الْحَشْرُ فَجَعَلُوا الْقَارِعَةَ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْحَشْرِ مِثْلَ الْقِيَامَةِ)[2]، فبداية الدار الآخرة حدوث الزلزلة العظمي، وثانيها ، ما يحدث في سورة القارعة من حشر الناس في صورة لا توصف لهول الموقف ، فبين سورة الزلزلة والقارعة تناسب وترابط ، فكلاهما تصوير وتوضيح لما سيكون في الدار الآخرة ، فسورة الزلزلة توضح أوائل وبداية الدار الآخرة ، وسورة القارعة توضح ثواني مبادئها وآخر غاياتها، ففي السورتين تقسيم لمشهد يوم القيامة ، سورة الزلزلة توضح البداية ، وسورة القارعة توضح النهاية.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،٢٠٢/٢٢

(٢) التحرير والتنوير ، (٣٠/ ٥١٠).

المبحث الثاني

وجوه التناسب البلاغي في البناء التركيبي لسورة الزلزلة

لكي يستكمل البحث جوانبه التطبيقية لابد من تناول مفهوم التناسب في الجانب التركيبي ، وقد نبه العلماء إلى مسألة مهمة تتعلق بالعلاقة بين التناسب والتلاؤم ، إذ أطلقوا الأخير على وصف جمالي يتعلق بفصاحة المفردة وفصاحة التراكيب وبلاغتها ووضعوا شروطا لكي يصح وصف الألفاظ بالفصاحة أو التراكيب بالبلاغة و بالتلاؤم [1] .

ويلاحظ أن لغة السورة تميل إلى توظيف أفعال توحي بهذا المعنى وتتلاءم معه ، وهذا يحقق منحى أسلوبيا يتجسد فيه معنى التناسب بأوضح صوره ليخرج التعبير القرآني إلى سمة التلاؤم التي تحدث عنه البلاغيون ؛ ليصفوا به نوعًا من الكلام ائتلفت فيه الأصوات مفردة لتؤلف لنا ألفاظا وتراكيب مؤتلفة مع الغرض الكلي للنص القرآني.

وسوف نتناول البناء التركيبي لسورة الزلزلة سواء من ناحية بنية المفردة أو بنية الجملة أو بنية الجمل ، لنصل إلى بلاغة التناسب من خلال هذه الجوانب البنائية ، وبنية المفردة تتمثل دراستها في بنيتها ومناسبتها للسياق ودلالة أصواتها على المعنى المقصود وتناسبها معه ، وبنية الجملة يشمل الحديث عن ما يعتريها من قيود أو تقديم وتأخير أو حذف وذكر وتشبيه، وبنية الجمل التركيبية يشمل الحديث عن الفصل والوصل ، وخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وكيف تحقق التناسب من خلال ذلك؟ .

---

(١) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٣ / ١-١٠

أولا: وجوه التناسب في البناء التركيبي للمفردات.

سوف نتناول وجه التناسب في بنية المفردة في سورة الزلزلة من حيث صيغتها ومناسبتها للسياق ودلالة أصواتها على المعنى المقصود ، وسر اختيارها دون غيرها وأثره في المعنى .

والمفردات محل الدراسة هي (زلزلت – أثقالها – أشتاتا – يصدر).

أولا: من المفردات كلمة (زُلزلت) :

قال تعالى: (إِذا زُلْزِلَـتِ الْأَرْضُ زِلْزالَهـا) يعني: (اضطرابها المقدر لها عند النفخة الأولى، أو الثانية أو الممكن لها ، أو اللائق بها في الحكمة، وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة، وليس في الأبنية فعلال إلا في المضاعف)[1].

والتعبير بلفظ (الزلزلة) يتناسب مع الموقف الكائن وقت البعث ، من التحرك للأرض ، والاضطراب الكائن من الناس في هذا المشهد، فتكرار الحركة في معناها يتناسب مع تكرار حروفها ، فالتَّزَلْزُلُ هو(الاضطراب، وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزّلل فيه)[2] ، فالأرض (حُرِّكَتْ تَحْرِيكًا شَدِيدًا حَتَّى يُخَيَّلَ لِلنَّاسِ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ حَيِّزِهَا لِأَنَّ فِعْلَ زُلْزِلَ مَأْخُوذٌ مِنَ الزَّلَلِ وَهُوَ زَلَقُ الرِّجْلَيْنِ، فَلَمَّا عَنَوْا شِدَّةَ الزَّلَلِ ضَاعَفُوا الْفِعْلَ لِلدَّلَالَةِ بِالتَّضْعِيفِ عَلَى شِدَّةِ الْفِعْلِ كَمَا قَالُوا :كَبْكَبَهُ، أَيْ كَبَّهُ وَلَمْلَمَ بِالْمَكَانِ مِنَ اللَّمِّ)[3].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ ، (٣٣٠/٥).

(٢) المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ ، (٣٨٢).

(٣) التحرير والتنوير ، (٤٩٠/٣٠).

فكلمة (زلزل) على وزن (فعلل) ، وهذه الصيغة فيها خاصية التكرار لحرفين، وهذا التكرار يحمل جرسًا معينًا يوحي بالتكرار للمعنى، كما قال ابن جني : (وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير؛ نحو الزعزعة، والقلقلة ، والصلصلة ، والقعقعة، والصعصعة ، والجرجرة)[1].

وهذا (الزِّلْزَالُ يَكُونُ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَزِلْزَالُ :يَوْمِ الْقِيَامَةِ..... فَفِي الْأَوَّلِ أَخْرَجَتْ كُنُوزَهَا، وَفِي الثَّانِي أَخْرَجَتْ مَوْتَاهَا)[2]، ولذا فهذا الاضطراب حقيقي وليس مجازا عن الخوف الشديد الذي يحصل في نفوس الناس؛ ولذا أكده بالمصدر (زلزالها) ، قال الزمخشري في معنى المصدر (زلزالها): (فإن قلت : ما معنى زلزالها بالإضافة ؟ قلت : معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله، وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعد، ونحوه قولك : أكرم التقيّ إكرامه، وأهان الفاسق إهانته، تريد : ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه)[3]، ولذا فإن بنية المصدر (زلزالها) تتناسب مع هول الموقف، فهذا زلزال شديد ليس بعده زلزال، فنقل للذهن قوة الزلزالة التي تفوق مقدور احتمال البشر .

(١) الخصائص ، أبو الفتح عثمان ابن جني الموصلي ، تحقيق، محمد علي النجار،بيروت – عالم الكتب (د ت) ، ١٥٣/٠٢).

(٢) البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ ، (٥٢٢/١٠).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

وقد كان التعبير القرآني دقيقا في اختيار هذه الكلمة(زلزل) المناسبة للسياق الوارد فيه ، ولذا جاء التعبير "بالزلزلة "بدلا من "الرجفة، "والفرق بينهما (أَن الرجفة الزلزلة الْعَظِيمَة؛ وَلِهَذَا يُقَال زلزلت الأَرْض زَلْزَلَة خَفِيفَة، وَلَا يُقَال رجفت إِلَّا إِذا زلزلت زَلْزَلَة ، وَسميت زَلْزَلَة السَّاعَة رَجْفَة لذَلِك، وَمِنْه الإرجاف وَهُوَ الْإِخْبَار باضطراب أَمر الرجل ورجف الشَّيْء إِذا اضْطربَ يُقَال رجفت مِنْهُ إِذا تقلقلت)[1]، والموقف في السورة عن البعث ، فناسب التعبير عن المشهد الكائن بالزلزلة ، وليس الرجفة.

وبناء الكلمة للمجهول؛ لأن الفاعل معلوم وهو الله عز وجل ، (وَإِنَّمَا بُنِيَ فِعْلُ زُلْزِلَتِ بِصِيغَةِ النَّائِبِ عَنِ الْفَاعِلِ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ فَاعِلُهُ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالى)[2] ؛ ولأن المقصود هو الإخبار بحدوث هذه الحركة العنيفة يوم القيامة ، وهذا مناسب لاستفسار الكفار عن وقت البعث ، ولم يكن سؤالهم عن الباعث ، بالإضافة إلى أن بناء الفعل للمجهول قد ساعد في رسم حالة من الغموض وعدم الإفصاح عن المتسبب في زلزال الأرض ، والإبهام يزيد من حالة الفزع والخوف والقلق لدى المتلقي .

وبين (زلزال – وزلزالها) جناس اشتقاقي ، وهذا (لا يتحقق إلا بالخداع عن الفائدة وقد أعطاها وبالإبهام في أنه لم يزد على المراد وقد زاد ، ومعنى هذا إن الجناس أمر نفسي ومسألة شعورية)[3].

---

(١) الفروق اللغوية المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، (ص١/٣٠٢).

(٢) التحرير والتنوير ،(ص ٣٠/٤٩١).

(٣) بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، كامل حسن البصير ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٤٠٧هـ ، ١٩٧٨مـ ، (ص١١٥) .

بالإضافة إلى التناسب الصوتي المتحقق بين الكلمة ومعناها وأصواتها ، و(التناسب الصوتي في القرآن الكريم كثيراً ما نجد الكلمة القرآنية توحي بمعنى يضاف إلى معناها المعجمي أو العرفي من خلال جرس أصواتها التي تحاكي الحدث، فترسم صورة الحدث في ذهن المتلقي أو القارئ [١].

وحرف (الزاي)، من صفاته الجهر[٢] ، وكذلك حرف (اللام) من صفاته الجهر [٣]، والجهر يعطي الحروف قوة ، ويُحدث الاهتزاز عند النطق بهما ، فتكون الأوتار الصوتية في حالة اهتزاز مسببة جهر الصوت[٤] الذي جاء متناغما مع السياق العام للسورة، ونجح في نقل صورة صوتية تتناسب مع صورة الحدث المضطربة المليئة بالحركة ، ولذا فالمتلقي يحس بحركة اهتزاز الأرض وأزيزها وكأنه مشاهدا للموقف ، وذلك بفضل ما تنقله صفات الحروف على المشهد.

ثم نجد كذلك تكرار البنية الصوتية في مقاطع (زلزل) فهذه المفردة تتكون من مقطعين صوتيين (زل – زل) ، وهذا المقطع الصوتي (زل) يثير بمفرده في النفس حركة عنيفة واضطراب شديد، وتكراره يضاعف الشعور بالحركة والاضطراب في ذهن المتلقي ، وهذا يتناسب مع حالة الشعور بالقلق والترقب والفزع في هذا المشهد العظيم ، الذي يتصوره كل من يسمع أو يقرأ سورة الزلزلة .

---

(١) ينظر: الخصائص، ابن جني، ج١، ص: ٤٦

(٢) سر صناعة الإعراب المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان الطبعة: الأولي ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م ، (٢٠٧/١).

(٣) سر صناعة الإعراب ، (٥/٢).

(٤) ينظر : الإعجاز البياني بين النظرية والتطبيق، د.حفني محمد شرف: مطابع الاهرام الأهلية، الجمهورية العربية المتحدة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠مـ ، (٢٢٦).

فالخطاب القرآني (اختار لكل حالة مرادة ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها، فجاء كل لفظ متناسبا مع صورته الذهنية من وجه ، ودلالته السمعية من وجه آخر)[1].

ثانيا: ومن المفردات (أَثْقَالُ) :

وردت هذه الكلمة (أثقال) بصيغة الجمع على وزن "أفعال" وهذا يتناسب مع الكم الهائل لما هو مخرج من باطن الأرض وقت الزلزلة ، ومعنى الْأَثْقَالُ (الْمَتَاعُ الثَّقِيلُ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْمَتَاعِ النَّفِيسِ) [2]، والمقصود منها كما جاء في لسان العرب: (كنوزُها ومَوْتَاها؛ قال الفراء : لَفَظَتْ مَا فِيهَا مِنْ ذَهَبٍ أَو فِضَّةٍ أَو مَيِّتٍ، وقيل: مَعْنَاهُ أَخرجت مَوْتَاهَا، وَمِنْ أَشراط السَّاعَةِ أَن تَقِيءَ الأَرض أَفْلاذَ كَبِدها وَهِيَ الْكُنُوزُ)[3] ، وجاء في روح المعاني : (تخرج الأرض كنوزها يوم القيامة ليراها أهل الموقف فيتحسر العصاة إذا نظروا إليها حيث عصوا الله تعالى فيها ثم تركوها لا تغني عنهم شيئا)[4] ، وقال الفخر الرازي: (أَثْقَالَهَا: أَسْرَارَهَا فَيَوْمَئِذٍ تُكْشَفُ الْأَسْرَارُ، لِذَلِكَ قَالَ: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَها فَتَشْهَدُ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ)[5]، والسياق يستغرق هذه المعاني جميعها ، فسواء أكانت أثقال الأرض الكنوز والأموال، أو الموتى ، أو الأسرار ، فجميعها يشق ويثقل أن يحملها أحد ، وكذلك الأرض تضج من حمل هذه

---

(١) الصوت اللغوي في القرآن : د .محمد حسين الصغير : دار المؤرخ : بيروت – لبنان : ط ١ ٢٠٠٠مـ ، ص١٦٣.

(٢) التحرير والتنوير ، ٣٠ /٤٩١

(٣) لسان العرب، (٨٥/١١).

(٤) روح المعاني ، (٤٣٤/١٥).

(٥) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ ، (٢٥٤/٣٢).

الأشياء وعند حدوث الزلزلة وتحرك الأرض ، تنتفض وتحرك ما بداخلها وتلفظه أيا كان ، ليخف عنها ألم ومشقة الحمل .

ولذا فهذا اللفظ فيه دقة وقوة يتناسب مع السياق العام للسورة ؛ إذ إن خروج الأثقال من الأرض مترتب ومتسبب عن زلزالها وتحركها تحركًا شديدًا (وذلك حين يكون البعث والقيام متأثراً عن الإخراج الناتج عن ذلك الزلزال، كما يتأثر عن زلزال البساط بالنفض إخراج ما في بطنه وطيه وغضونه من وسخ وتراب وغيره، وما كان على ظهرها فهو ثقل عليها ؛ لأنها يعطيها الله قوة إخراج ذلك كله كما كان يعطيها قوة أن تخرج النبت الصغير اللطيف الطري الذي هو أنعم من الحرير فيشق الأرض الصلبة)[1].

والتعبير بالأثقال ، أنسب للسياق والمقام من التعبير ب الأحمال ، مثلا أو أي مرادف آخر لها ، لما تنقله من معاني أعم ، فالأحمال منطوية تحت الأثقال ، ومن الجائز أن يحمل الكلام على التجوز الاستعاري (فالأثقال جمع ثقل بالتحريك وهو متاع المسافر وكل نفيس مصون، وتجوز به هاهنا على سبيل الاستعارة عن الثاني، ويجوز أن يكون جمع ثقل بكسر فسكون بمعنى حمل البطن على التشبيه والاستعارة)[2]، فكأن الأرض إنسان عاقل يحمل أشياءه الثمينة الذي يخاف عليها أو إنسان مسافر يحمل أمتعته الخاصة والقيمة ، ثم يشق عليه ولا يستطيع تحمله فيلقيه ، أو كأنها إمرآة حامل ثم اكتمل تكوين الجنين وجاء وقت الولادة ، فتخرج وليدها من بطنها ، وكذلك الأرض ، ما بداخلها من أموات أو كنوز وأسرار ظل

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، (٢٠٤/٢٢).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ، (٤٣٤/١٥).

بداخلها حتى جاء موعد البعث بأمر الله فتخرج كل ما بداخلها وقت الزلزلة، وحالتها كحالة الولادة ، كلاهما يلاقي مشقة في لفظ ما بداخله ، وهذا متناسب مع سياق رسم صورة لمشهد يوم البعث.

ثم لصوت مخارج حروف الكلمة دورها في تصوير المعنى الذي يتناسب مع مشهد البعث ، ومخارج حروف كلمة "أثقالها" فالثاء (حرف مهموس، وهو أحد حروف النفث)[١] ، والقاف (حرف مجهور)[٢]، والألف – وهو حرف مد – ينفتح معه الفم بلا حدود ، بالإضافة لتقسيم الكلمة إلى مقاطع صوتية و(المقاطع الصوتية في مفردة (أثقالها) ترسم لنا صورة انفجار به تبدأ من الصوت المنبث في باطن الأرض ثم يتصاعد بعد رويدا رويدا حتى الانفجار مرة بعد أخرى ، فتخرج الهمزة من الحنجرة وتعترضها الأسنان ؛ لتولد بثيث همس سرعان ما ينفجر في توليفة المقطع الثاني ، فينفتح فيه الفم على مصراعيه وينفتح معه كل شيء، وتحس بشدة الأمر وضخامته عندما تتعاضد تلك الأصوات المجهورة الشديدة المتمثلة في القاف الانفجارية والألف الممتدة)[٣]، وبذا ترسم الكلمة للمتلقي الأرض وهي منفجرة تلقي كل ما في بطنها ولا تبقي شيئا منه ، فلا حدود لما تلقيه ولا تعيين ، وهذا يتناسب مع مشهد البعث وما يطويه من هلع وخوف وترقب.

(١) سر صناعة الإعراب ،(١٨٣/١)

(٢) سر صناعة الإعراب ، (٢٨٧/١).

(٣) التصوير الصوتي في سورة الزلزلة، هادي سعدون هنون العارضي، بحث منشور، جامعة الكوفة، (ص ٨)

ثالثا: من المفردات : (يصدر)

وردت هذه الكلمة بصيغة الفعل المضارع (يصدر) الذي يصور للمتلقي هيئة تدفق الناس جميعها من قبورهم يوم البعث في شكل متجدد غير منقطع ، وفي هيئة ترسم أمام الأعين وكأنها حاضرة ، وهذا يتناسب مع السياق ويتوافق له.

و(الصُّدُورُ ضد الورود فَالْوَارِدُ الْجَائِي وَالصَّادِرُ الْمُنْصَرِفُ وَأَشْتَاتًا مُتَفَرِّقِينَ، فَيُحْتَمَلُ أن يردوا الأرض، ثم يصدرون عنها الْأَرْضِ إِلَى عَرْصَةِ الْقِيَامَةِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَرِدُوا عَرْصَةَ الْقِيَامَةِ لِلْمُحَاسَبَةِ ثُمَّ يَصْدُرُوا عَنْهَا إِلَى مَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ)[1]، (وَحَقِيقَةُ يَصْدُرُ النَّاسُ الْخُرُوجُ مِنْ مَحَلِّ اجْتِمَاعِهِمْ ، يقال: صَدَرَ عَنِ الْمَكَانِ، إِذَا تَرَكَهُ وَخَرَجَ مِنْهُ صُدُورًا وَصَدَرًا بِالتَّحْرِيكِ، وَمِنْهُ الصَّدْرُ عَنِ الْمَاءِ بَعْدَ الْوِرْدِ، فَأُطْلِقَ هُنَا فِعْلُ يَصْدُرُ عَلَى خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الْحَشْرِ جَمَاعَاتٍ، أَوِ انْصِرَافِهِمْ مِنَ الْمَحْشَرِ إِلَى مآويهم مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ، تَشْبِيهًا بِانْصِرَافِ النَّاسِ عَنِ الْمَاءِ بَعْدَ الْوِرْدِ)[2]، فبعد إخراج الأرض ما في بطنها من موتى ويجتمع الجميع في المحشر ، ووقوف الجميع بين يد الرحمن للحساب ، تأخذ الخلائق في ترك مكانها والاتجاه إلى المأوى الآخير من الجنة أو النار، ولذا كان التعبير بلفظ (يصدر) متناسبا مع هذا الموقف؛ لدلالته على هذا المعنى بإيجاز وتصوير المشهد بدقة وتقريبه للأذهان .

وأصوات حروف هذه الكلمة (ص– د– ر) الصاد حرف مهموس[3] ، الدال حرف مجهور[4]، الراء حرف مجهور مكرر[5]، والكلمة تصور المشهد لخروج الناس

---

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للرازي،(٢٢/٢٥٦).

(٢) التحرير والتنوير ، (٣٠/٤٩٣).

(٣) سر صناعة الإعراب ، (١/٢٢١).

(٤) المرجع السابق ، (١١٩).

(٥) المرجع السابق ،(١/٢٠٣).

من قبورهم في البداية في حالة هدوء يصورها صوت حرف (الصاد) المهموس الضعيف، ثم الحالة تتصاعد لتصل إلى حالة الإنفجار غير المنقطع ، يصورها صوت حرف (الدال) و(الراء) المجهور المتكرر ، وتكرر الراء توحي بتكرر حدوث هذا الحدث وخروج الناس أفواجا مرات ومرات.

رابعا : **ومن المفردات** :**أشتاتا**:

وردت هذه الكلمة بصيغة (أفعال) وهو جمع (شَّتَاتُ) ، و(الشَّتُّ: الإِفْتِرَاقُ والتَّفْرِيقُ)[1] ، والمقصود خروج جميع الناس وقت الزلزلة للبعث من قبورهم (فِرَقًا مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ وَعَاصٍ سَائِرُونَ إِلَى الْعَرْضِ، لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ ....، أو مُتَفَرِّقِينَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، أَهْلُ الْإِيمَانِ عَلَى حِدَةٍ، وَأَهْلُ كُلِّ دِينٍ عَلَى حِدَةٍ)[2]، أو (بِيضَ الْوُجُوهِ آمِنِينَ، وَسُودَ الْوُجُوهِ فَزِعِينَ)[3]، وهذه المعانى تحملها كلمة أشتاتا في طياتها جميعها تنصب في معنى التفرق لجميع الخلائق الذي يتناسب مع مشهد البعث، وما فيه من فزع ورعب وقلق ورهبة، وبذا يكون التعبير القرآني في غاية الدقة المعجزة في استخدام الألفاظ المتناسبة مع المشاهد التي يحكيها والتي لم تقع بعد.

وتقسيم الكلمة إلى مقاطع صوتية مع مخارج حروفها متناسب تمام التناسب مع لحظة زلزلة الأرض وخروج ما فيها ؛ فمخارج حروفها تتميز بصفات تتناسب

---

(١) لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ ، (٤٨/٢).

(٢) البحر المحيط : (٥٢٤/١٠).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ ، (٧٨٤/٤).

مع المشهد القرآني بالسورة ، فحرف (الشين) (مهموس)[١] ، وكذلك حرف التاء (مهموس)[٢]، وحرف (الألف) وهو من حروف المد ، فنجد لكل حرف من هذه الحروف إيحاءه ، وظلاله على المعنى المراد بسياقه، فقد أضاف صوت (التاء) في نهاية اللفظ من إيحاء صوتي حاور فيه روع المتلقي فألقى فيه شدة وقع الحدث، لكون (التاء) من الأصوات الشديدة [٣] ، بالإضافة لكون صوت (التاء) وما يتمتع به من صفة تدل على الاضطراب في الطبيعة أو الملابس للطبيعة [٤] ، وصوت الألف وما يتميز به من خصائص أهمها مد الصوت وعدم تقييده بحدود معينه، وهو متناسب مع حالة التفرق بين الجماعات يوم الحشر غير المحدد بزمان ولا مكان، وحرف الشين من الأصوات التي توحي بصورة التفشي والانتشار بغير نظام [٥]، وهذا متناسب مع مشهد البعث وخروج الناس من قبورهم مشتتين ومضطربين.

بالإضافة إلى أن كلمة "أشتاتا" ، تتكون من مقطعين صوتيين متكررين (تا– تا) ، وهذا البناء المقطعي في الكلمة ينقل للمتلقي معنى الاضطراب وشدته وهذا يتناسب مع السياق والمقام الذي هو موقف اضطراب وتشتت وفزع من الجميع في مشهد البعث ، فهي كلمة قادرة على منح مشهد البعث صورة مرسومة تستحضرها الأذهان.

---

(١) سر صناعة الإعراب ، ٢١٧/١.

(٢) المرجع السابق ، ١٥٥/١.

(٣) ينظر: علم الأصوات اللغوية : د .مناف مهدي الموسوي : دار الكتب العلمية : بغداد ، ط٣ ٢٠٠٧مـ ،(ص٤٧).

(٤) ينظر : الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم محمد فريد عبد الله : دار ومكتبة الهلال بيروت، ط١، ٢٠٠٨مـ ، (١٦).

(٥) ينظر: الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم : ١٧،

وبذا تتكاتف حروف الكلمة وأصواتها ومقاطعها في تناسب تام لنقل حالة الناس يوم البعث وما يعتريها من فزع وخوف ، متشتتين لا يعرفون أين المفر ولا من أين يتجهون ! .

ثانيا: وجوه التناسب في البناء التركيبي للجملة والجمل:

النص سواء أكان شعرًا أم نثرًا يتكون من مجموعة من الجمل ، والنص وحدة دلالية ، وليست الجمل إلا وسيلة يتحقق بها النص ، والنص القرآني يترابط ويتلاحم بجميع جمله ، بواسطة علاقات تعضد هذا التماسك ، وهذا ما سيظهر من خلال دراسة التناسب في جمل وبين جمل سورة الزلزلة .

وسنتناول دراسة وجوه تناسب بنية الجملة ، ويشمل الحديث ما يعتري الجملة من قيود أو تقديم وتأخير أو حذف وذكر وتشبيه ، ووجه تناسب بنية الجمل التركيبية ، ويشمل الحديث عن الفصل والوصل ، وخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وفيه أدرس حالات الفصل والوصل بين الجمل والغرض من مجيئها مع بيان وجوه التناسب من خلال ذلك .

ومبحث الفصل والوصل من مباحث البلاغة الدقيقة، والذي يعين على معرفة الوجوه التناسبية بين جمل ومقاطع السورة، وهذا المبحث أدق الأبواب لاحتياجه إلى مزيد تأمل وإعمال فكر لمعرفة علاقات الجمل.

يقول عبد القاهر الجرجاني : (واعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض ، أو ترك العطف فيها والمجيئ بها منثورة ، تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيها إلا الأعراب الخلص وإلا قوم طبعوا على البلاغة ، وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد ، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة ، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال : (معرفة الفصل من الوصل ، ذاك لغموضه

ودقة مسلكه ، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد ، إلا كمل لسائر معاني البلاغة)[١].

قال تعالى : (إذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَها) بدأت سورة الزلزلة بالجملة الشرطية: (إذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَها) ، واستخدام في الجملة القيد الشرطي (إذا) وهو ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط ، وجملة الشرط (زلزلت) وجواب الشرط جملة (تُحَدِّثُ أَخْبارَها)[٢]، واستخدام القيد الشرطي (إذا) بدلا من الشرط (إن)؛ لأن (إذا) تُستخدم في الشرط المتحقق، فالزلزلة متحققة وواقعة لا محالة ، كما أخبر بذلك المولى عز وجل ، والتعبير بذلك يبعد الشك من نفوس بعض الناس المنكرين للغيبيات التي أخبر عن حدوثها الله عزل وجل، وكذلك جواب الشرط (تحديث الأخبار) متحققة ، بخلاف (إن) فالشرط وجوابه معها مشكوك فيهما غير مقطوع بوقوعهما ، واستخدام (إذا) يتناسب مع حالة الكافرين السائلين عن وقت قيام الساعة ، الشاكين في ذلك ، فكان لا بد من الرد عليهم بأسلوب مؤكد يدحض مزاعمهم، وينقل صورة التأكد من وقوع الحدث لتبكيتهم، وساعد ذلك التعبير بالفعل الماضي في فعل الشرط (زُلْزِلَتِ) الدال على تحقق وقوع الزلزلة .

بالإضافة إلى جواز تقدير محذوف، وذلك على اعتبار أن (إذا) ظرف غير متضمن معنى الشرط ، ويكون التقدير (يحشرون إذا)[٣] ، ويكون وجه التناسب

---

(١) دلائل الإعجاز ، ص٢٢٢

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، المؤلف : محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ) الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ ، (٥٤٨/١٠).

(٣) ينظر: إعراب القرآن وبيانه ، محي الدين درويش ، (٥٤٨/١٠).

على تقدير الحذف؛ كون الحذف يجعل الكلام موجزا فيه تركيز، وذلك مناسب للحالة التي نزلت فيها السورة ، حالة الشك من قبل الكفار المتطلب الرد عليهم بسرعة وإيجاز وتركيز .

(وافْتِتَاحُ الْكَلَامِ بِظَرْفِ الزَّمَانِ (إذا) مَعَ إِطَالَةِ الْجُمَلِ الْمُضَافِ إِلَيْهَا الظَّرْفُ ؛ للتَشْوِيقٌ إِلَى مُتَعَلِّقِ الظَّرْفِ (تُحَدِّثُ) ، إِذِ الْمَقْصُودُ لَيْسَ تَوْقِيتَ صُدُورِ النَّاسِ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ بَلِ الْإِخْبَارُ عَنْ وُقُوعِ ذَلِكَ وَهُوَ الْبَعْثُ، ثُمَّ الْجَزَاءُ، وَفِي ذَلِكَ تَنْزِيلُ وُقُوعِ الْبَعْثِ مَنْزِلَةَ الشَّيْءِ الْمُحَقَّقِ الْمَفْرُوغِ مِنْهُ بِحَيْثُ لَا يُهِمُّ النَّاسَ إِلَّا مَعْرِفَةُ وَقْتِهِ وَأَشْرَاطِهِ فَيَكُونُ التَّوْقِيتُ كِنَايَةً عَنْ تَحْقِيقِ وُقُوعِ الْمُوَقَّتِ)[1]، وبذلك يكون التناسب واضحا ، لحصول التشويق لمعرفة الجواب ، والعلاقة تلازمية بين الشرط والجواب، إذ يعتمد هذا الأسلوب على ثلاثة أجزاء ، أداة الشرط ، وهي الرابط بين الجملتين، وجملة الشرط ، وجملة الجزاء.

والبناء التركيبي لجملة (زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ) بإسناد الفعل المبني للمجهول للأرض، يتناسب مع حالة هؤلاء الشاكين في يوم البعث ، إذ الفاعل معلوم وهو الله سبحانه وتعالى، وليس المقصود السؤال عليه ، بل المقصود الإخبار بحصول الزلزلة من الأرض .

وإضافة زِلْزالَها للأرض للتهويل[2] ، وزُلْزِلَتِ زِلْزالَها بينهما جناس الاشتقاق، الذي يحدث صوتا ينقل حركة الاضطراب والحركة والاهتزاز الشديدين، المتناسب مع السياق العام للسورة .

واقتضى البناء التركيبي للجمل عطف الآية التالية (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها) على الجملة السابقة ، والوصل بين الجملتين؛ لاتفاقهما في الخبرية ، والذي حسن

(١) التحرير والتنوير ، ٣٠/٤٩٠.

(٢) التفسير المنير للزحيلي ،(٣٠/٣٥٨).

الوصل ، اتفاق الفعلين في الدلالة على الماضي ، وتكرار المسند إليه فيهما (الأرض) ، فالتناسب والترابط واضح بين الجملتين فإخراج الأرض الأثقال مُترتب ومتسبب عن زلزلة الأرض، فالتناسب بين الجملتين لعلاقة المسببية؛ إذ (أن إخراجها للأثقال مسبب عن الزلزال كما ينفض البساط ليخرج ما فيه من الغبار ونحوه وإنما اختيرت الواو على الفاء تفويضا لذهن السامع)[1]، فلولا حدوث الزلزلة والتحرك للأرض لما أخرجت ما في باطنها .

وفي الآية خروج للكلام على خلاف مقتضى الظاهر، حيث أظهر في موضع الإضمار (أخرجت الأرض)؛ إذ الظاهر أن يضمر(الأرض) وهي فاعل ، لذكرها قبل فيقال مثلا :(أخرجت أثقالها) ، وإنما أظهر؛(لزيادة التقرير وتفخيم هول الساعة)[2]، (وقيل للإيماء إلى تبديل الأرض غير الأرض، أو لأن إخراج الأرض حال بعض أجزائها)[3]، وهذا يتناسب مع حالة الفزع والخوف والهلع الناتج من زلزلة الأرض ، وكأن لهول الموقف على البشر في ذلك اليوم يحتاج للتذكير بإعادة لفظ الأرض مرة ثانية ، فلا يوجد عندهم قدرة على الاسترجاع ، بل لا بد من التعيين بالذكر.

بالإضافة إلى وجود إسناد مجازي في الآية ، حيث أسند الزلزلة والإخراج للأرض؛ لأن المخرج الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى، والأرض مكان للإخراج، والعلاقة المكانية ، فالأرض هي مكان حدوث الزلزلة وكذلك مكان الإخراج ، وهو متناسب مع هول الموقف وحدوث الزلزلة وعملية إخراج الأثقال من الأرض، حتى يخيل للرائي من هول الموقف وشدته أن الأرض هي التي أحدثت الزلزل والإخراج.

---

(١) روح المعاني ،(١٤/٤٣٤).

(٢) ينظر : إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، (١٠/ ٥٤٨)

(٣) روح المعاني، (١٤/٤٣٤).

واقتضى البناء التركيبي للجمل عطف الآية التالية قوله تعالى : (وَقالَ الْإِنْسانُ ما لَها) على ما قبلها لشدة الترابط بين الكلامين لما بينهما من التناسب الذي يعضد التلاحم والتماسك ، وفصل بين جملة القول (وقال الإنسان) وبين جملة الاستفهام (ما لها) لشبه كمال الاتصال ، فبين الجملتين اتصال معنوي يغني عن وجود رابط لفظي.

ومن المتعارف أن الإنسان (إذا رأى هذا عجب له ولم يدرك سببه لأنه أمر عظيم فظيع يبهر عقله ويضيق عنه ذرعه)[1] أن يستفهم عنه دلالة على التعجب والحيرة والدهشة ، فهو (اسْتِفْهَامٌ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي ثَبَتَ لِلْأَرْضِ وَلَزِمَهَا لِأَنَّ اللَّامَ تُفِيدُ الِاخْتِصَاصَ، أَيْ مَا لِلْأَرْضِ فِي هَذَا الزِّلْزَالِ، أَوْ مَا لَهَا زُلْزِلَتْ هَذَا الزِّلْزَالَ، أَيْ مَاذَا سَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ ، نَزَلَتِ الْأَرْضُ مَنْزِلَةَ قَاصِدٍ مُرِيدٍ يَتَسَاءَلُ النَّاسُ عَنْ قَصْدِهِ مِنْ فِعْلِهِ حَيْثُ لَمْ يَتَبَيَّنْ غَرَضُهُ مِنْهُ)[2]، والاستفهام يتناسب مع حالة الدهشة والخوف والقلق الناتج من هول الحركة والاضطراب الشديدين للأرض في هذا المشهد.

(وفي الإنسان قولان : أحدهما أنه اسم جنس يعمّ المؤمن والكافر، أي: يقول الجميع ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع كما يقولون: "من بعثنا من مرقدنا" ؟ والثاني أنه الكافر خاصة؛ لأنه كان لا يؤمن بالبعث، فأما المؤمن فيقول: (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)[3].

(١) إعراب القرآن وبيانه ، درويش ،(٥٤٩/١٠).

(٢) التحرير والتنوير، (٤٩٢/٣٠).

(٣) إعراب القرآن وبيانه، درويش ،(٥٤٩/١٠)، بعض من سورة يس ، آية ٥٢.

وجملة (ما لها) (في محلّ نصب مقول القول)[١]، وبذا يتحقق التناسب بين القول ومقوله ، وهي علاقة تلازمية ، فالقول يستلزم مقول القول .

قوله تعالى :(يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها) (لا محلّ لها جواب شرط)[٢]، ولما طال الكلام وأريد التهويل، أبدل من(إذا) قوله معرفاً للإنسان ما سأل عنه: (يومئذ) أي: إذ كان ما ذكر من الزلزال[٣]، فالأرض تحدث أخبارها في هذه اللحظة ، فنجد أن هناك ترابطًا وتناسبًا يسري في الكلام بين الجمل، حيث إن (يومئذ) ظرف أضيف إلى مثله، ومحله النصب على أنه بدل من إذا، والعامل فيه هو العامل في المبدل منه، والتنوين عوض عن جملة أي يوم إذ تزلزل الأرض زلزالها وتخرج الأرض أثقالها ويقول الإنسان ما لها فحذفت هذه الجمل الثلاث وناب منابها التنوين)[٤]، فنجد كيف طويت هذه الجمل وأوجز الكلام والذي دل عليه الجمل السابقة في بداية السورة، والإيجاز يتناسب مع هول الموقف وشدته ، فلا يوجد مجال للإطناب في الكلام .

والتلازم بين جملة الشرط (زلزلت) وجملة الجواب (تحدث أخبارها) يخلق في الكلام تناسبا وترابطا بين الكلام، ويعضد التماسك بين أجزاء النظم القرآني، (وتحدث فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره "هي" أي الأرض، ومفعول تحدث الأول محذوف أي الخلق)[٥]، وحذف المفعول الأول (الخلق) يتناسب مع السياق

(١) الجدول في إعراب القرآن الكريم المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ، ٣٨٣/٣٠)

(٢) الجدول في إعراب القرآن، (٣٨٣/٣٠).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، (٢٠٥/٢٢).

(٤) إعراب القرآن وبيانه، درويش، (٥٤٩،٥٥٠/١٠)

(٥) إعراب القرآن وبيانه، درويش، (٥٤٩،٥٥٠/١٠)، التحرير والتنوير ، (٤٩٣/٣٠).

ويتطلبه الموقف للتفكير فيمن تحدثه الأرض ؛ إذ إن (الْمَقْصُودَ ذِكْرُ تَحْدِيثِهَا الْأَخْبَارَ لَا ذِكْرُ الْخَلْقِ تَعْظِيمًا)[1] ، فجميع الخلائق في هذا المشهد العصيب في حالة ترقب لما سيكون من الأرض بعد الزلزلة وإخراج الأثقال ، وهنا تخبر الأرض بأمر من الله جميع الخلائق بالأخبار .

وتحديث الأخبار على رأي الجمهور (أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يجعل الأرض حيوانا عاقلا ناطقا وَيُعَرِّفُهَا جَمِيعَ مَا عَمِلَ أَهْلُهَا فَحِينَئِذٍ تَشْهَدُ لِمَنْ أَطَاعَ وَعَلَى مَنْ عَصَى)[2]، فالعقول لا تستوعب كيف الأرض وهي جامدة ستخبر الخلائق بالأخبار، فإذا علمت أن التحدث يكون بأمر من الله زال عنها ذلك ، فالله عز وجل يجعل الأرض إنسانا عاقلا قادرا على الكلام وذكر ما كان في الحياة الدنيا .

جاء في روح المعاني : (التحديث استعارة أو مجاز مرسل لمطلق دلالة حالها ، والإيحاء إحداث ما تدل به فيحدث عز وجل فيها من الأحوال ما يكون به دلالة تقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها إلى تلك الأحوال فيعلم لِمَ زلزلت ولِمَ لفظت الأموات وإن هذا ما كانت الأنبياء – عليهم السلام– ينذرونه ويحذرون منه وما يعلم هو أخبارها)[3].

وجاء التعبير بتحديث الأخبار ، ولم يأت بتحدث الأنباء، وسر اختيار (التحديث) بدلا من (النبأ) (أَن النبأ لَا يكون إِلَّا للإخبار بِمَا لَا يُعلمهُ الْمخبر، وَيجوز أَن يكون الْخَبَر بِمَا يُعلمهُ وَبِمَا لَا يُعلمهُ؛ وَلِهَذَا يُقَال عِنْدِي وَلَا تَقول تنبئني

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، (٣٢/ ٢٥٥).
(٢) تفسير الفخر الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (٣٢/٢٥٥).
(٣) روح المعاني ، ١٥/٤٣٥).

عَن نَفسِي وَكَذَلِكَ تقول تُخبرنِي عَمَّا عِنْدِي وَلَا تَقول تنبئني عَمَّا عِنْدِي)[1]، وهذا متناسب مع السياق ، فالأرض تحدث جميع الخلائق بما يعرفونه من أخبار وما لا يعرفونه، ولذا كان التعبير بالتحديث هنا، وعلاقة التناسب بين هذه الجملة وما قبلها علاقة تلازمية ،فالجملة واقعة في ترتيبها الذي يتطلبه الحدث .

(ورد في حديث الترمذي ، عن أبي هريرة قال [2]: (قَرَأَ رَسُولُ اللَّـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها) قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قالَ: فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنَّ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا تَقُولُ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا)[3].

قال تعالى: (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها) الآية تتصل بما قبلها اتصالًا شديدًا، لوجود علاقة تناسبية تجعل الكلام متلاحما كأنه بناء متكامل البنيان، وعلاقته بما قبله علاقة السببية، (فأن وما في حيّزها في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان

(١) الفروق اللغوية المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (ص٤١/١).

(٣) سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م ، (٥١٩/٤).

(٣) البحر المحيط، (٥٢٤/١٠).

بتحدث والمعنى تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها وأمره إياها بالتحديث [١]، وبذا يظهر التناسب والترابط بينها، ويجوز أن تكون علاقة التناسب تضمينية؛ حيث إن (أَوْحى لَها تضمين، ضمن ذلك معنى الإذن والأمر لها)[٢]، فالأرض تحدث أخبارها ، بإيحاء من الله، وإيحاء الله للأرض يتضمن أن يكون الله أذن لها بالإخبار.

ومقتضى الظاهر في بناء الجملة التركيبي، التعبير بـ(قال لها) بدلا من (أوحى لها) ، وإنما عدل عن ذلك ؛ لِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ تَكْوِينٍ لَا عَنْ قَوْلٍ لَفْظِيٍّ، أَيْ: أَوْجَدَ فِيهَا أَسْبَابَ إِخْرَاجِ أَثْقَالِهَا فَكَأَنَّهُ أَسَرَّ إِلَى الأرض بِكَلَامٍ [٣]، وهو يتناسب مع السياق والموقف، بالإضافة إلى أن (الإيحاء) أشمل وأعم من(القول) ، فالوَحْيُ الإخبار بالإشارة والكتابة والرِّسالة والإلْهام والكلام الخَفِيُّ وكلُّ ما أَلقيته إلى غيرك[٤]، أما القول ، فهو الإخبار بالكلام فقط.

وتعدية الفعل (أوحى لها) بـ"اللام" (بمعنى إلى وإنما أوثرت على "إلى" لمراعاة الفواصل وما يتعدى بإلى يجوز أن يتعدى باللام ولا عكس)[٥]، وهذا لمراعاة التناسب اللفظي في الفاصلة ، وجاء في تفسير الفخر الرازي (لِمَ لَمْ يَقُلْ أَوْحَى إِلَيْهَا؟ وقال أوحى لها ، إِنَّمَا قَالَ لَهَا: أَيْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لِأَجْلِهَا حَتَّى تَتَوَسَّلَ الْأَرْضُ بِذَلِكَ إِلَى التَّشَفِّي مِنَ الْعُصَاةِ)[٦].

---

(١) ينظر : مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ ، (٢٥٦/٢٢).

(٢) التفسير المنير للزحيلي، (٣٥٨/٣٠).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ، (٤٩٣/٣٠).

(٤) ينظر: المعجم الوسيط ، مادة (أ و ح ى).

(٥) إعراب القرآن وبيانه ، درويش، (٥٥٠/١٠)

(٦) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للرازي، (٢٥٦/٢٢).

قال تعالى: (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ)، جملة (يوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً) تتناسب مع قبلها ، فهي (بَدَلٌ مِنْ جُمْلَةِ: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها)[1]؛ ولذلك فصل بينهما لكمال الاتصال، الذي يقوى الترابط المعنوي، وبذلك يقوى التناسب بين البدل والمبدل منه فهما كالشيء الواحد، فكأن العلاقة بينهما تطابقية أو توضيحية مما يقوي التماسك والتلازم بين أجزاء النظم القرآني .

ومما قوى التناسب والترابط التكرار لقوله: (يومئذ)، فـ(لما أخبر تعالى بإخراج الأثقال التي منها الأموات، اشتد التشوف إلى هيئة ذلك الإخراج وما يتأثر عنه، فقال مكرراً ذكر اليوم زيادة في التهويل(يومئذ) [2]، فالتكرار يتناسب مع المشهد العام للآيات، فالموقف فيه تهويل وتخويف وهذا ما أحدثه تكرار الظرف (يومئذ) ، فالناس في ذلك اليوم تخرج من قبورها بعد الزلزلة ، وتحدث الأرض الأخبار بإذن الله ، ثم تأتي هذه الجملة لتوضيح هيئة خروج الناس من الأجداث .

ونجد أن (يومئذ) (ظرف أضيف إلى مثله ... أو متعلق بيصدر أو هو مفعول لأذكر مقدرا)[3]، وتقديمه على متعلقه (يصدر) ؛ ليتناسب مع هول الموقف للاهتمام بهذا اليوم ، وإذا كانت (يومئذ) متعلقة بمحذوف تقديره (اذكر)، تناسب مع مشهد خروج الناس وخوفهم ورعبهم ، فالحالة كأنها تتطلب من الجميع إعمال الذهن للتفكير في يوم البعث.

وَجَوَابُ الشرط (إذا) هُوَ فِعْلُ (يَصْدُرُ النَّاسُ) وَهَذَا الْجَوَابُ هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْكَلَامِ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ مَسُوقٌ لِإِثْبَاتِ الْحَشْرِ وَالتَّذْكِيرِ بِهِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ أَهْوَالِهِ فَإِنَّهُ عِنْدَ

(١) التحرير والتنوير، ٤٩٣/٣٠.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٢٠٧/٢٢).

(٣) إعراب القرآن وبيانه ، درويش، (٥٥٠/١٠)

حُصُولِهِ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّ الزِّلْزَالَ كَانَ إِنْذَارًا بِهَذَا الْحَشْرِ[1]، وجواب الشرط يتناسب مع فعل الشرط ، والعلاقة بينهما استلزامية ، فكل شرط لا بد له من جواب يترتب عليه ومتوقف على حدوثه ، فعند حدوث الزلزلة يصدر الناس متفرقين.

والمعنى (أي في هذا اليوم المضطرب وفي يوم الخراب المدمر، يصدر الناس من قبورهم إلى موقف الحساب، مختلفي الأحوال، فبعضهم آمن، وبعضهم خائف، وبعضهم بلون أهل الجنة، وبعضهم بلون أهل النار، ليريهم اللَّه أعمالهم معروضة عليهم.)[2].

(وَقَوْلُهُ :(أَشْتَاتاً) فِيهِ وُجُوهٌ أَحَدُهَا: أَنَّ بَعْضَهُمْ يَذْهَبُ إِلَى الْمَوْقِفِ رَاكِبًا مَعَ الثِّيَابِ الْحَسَنَةِ وَبَيَاضِ الْوَجْهِ وَالْمُنَادِي يُنَادِي بَيْنَ يَدَيْهِ: هَذَا وَلِيُّ اللَّهِ، وَآخَرُونَ يُذْهَبُ بِهِمْ سُودَ الْوُجُوهِ حُفَاةً عُرَاةً مَعَ السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ وَالْمُنَادِي يُنَادِي بَيْنَ يَدَيْهِ هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ وَثَانِيهَا :أَشْتَاتاً أَيْ كُلٌّ فَرِيقٍ مَعَ شَكْلِهِ، الْيَهُودِيُّ مَعَ الْيَهُودِيِّ، وَالنَّصْرَانِيُّ مَعَ النَّصْرَانِيِّ وَثَالِثُهَا :أَشْتَاتًا مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ)[3]

فالحق تبارك وتعالى يصور لنا حال الخلائق يوم القيامة، وقد تفرقوا، انشغل كل امرئ منهم بنفسه، لمعرفة مصيره، فيرى كل منهم عمله، وما قدمت يداه في هذه الدنيا فمنهم شقي وسعيد، وناج ومخذول، يحصي الله عليهم أعمالهم، ويجازيهم بها، فلا يُظلم واحد من الناس يومئذ مثقال ذرة.

(١) التحرير والتنوير، ٤٩٣/٣٠

(٢) التفسير المنير للزحيلي، ٣٦١/٣٠).

(٣) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للرازي،(٢٥٦/٢٢).

قوله تعالى: (لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ) (اللام للتعليل ويروا فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن مضمرة بعد اللام ولام التعليل ومدخولها متعلقان بيصدر)[1]، فالجملة تتناسب مع ما قبلها وترتبط بها ، وعلاقتها بها تعليلية لها ، وهذا يقوي لحمة التماسك بين أجزاء النظم ، فهم يَصْدُرُونَ لِأَجْلِ تَلَقِّي جَزَاءِ الْأَعْمَالِ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَيُقَالُ لِكُلِّ جَمَاعَةٍ، هذه هي أعمالكم.

والفعل (يُروا): جاء الفعل مبنيًا للمجهول؛ لأن المقصود رؤيتهم لأعمالهم، وليس المقصود تعيين من يريهم إياها، وذلك متناسب مع المشهد العصيب موقف الحشر.

(لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ)، أي: (ليبصروا جزاء أعمالهم خيرا كان أو شرا فالرؤية بصيرية والكلام على حذف مضاف أو على أنه تجوز بالأعمال عما يتسبب عنها من الجزاء وقدر بعضهم كتب أو صحائف وقال آخر: لا حاجة إلى التأويل والأعمال تجسم نورانية وظلمانية بل يجوز رؤيتها مع عرضيتها)[2].

و(أعمالهم) جمع مضاف يفيد الشمول والاستغراق ، وهذا يتناسب مع المقصد العام للآية ، فمقصد الآية (بيان الاستقصاء في عرض الأعمال والجزاء عليها)[3]، لجميع الخلائق الكافر منهم والمؤمن، فالجميع ستعرض أعمالهم وسيجازون عليها خيرا أو شرا.

وقيد الفعل (يصدر) بالمفعول به (أَشْتاتاً)، وهذا يتناسب – كذلك – مع المقصد العام للآية؛ لأن القيد يوضح أن الخلائق يوم البعث على (طرائق شتى

(١) إعراب القرآن وبيانه ، درويش ،(١٠/٥٥٠)
(٢) روح المعاني ، (٤٣٦).
(٣) روح المعاني ، ١٥/٤٣٨

للنزول في منازلهم من الجنة والنار بحسب أعمالهم المختلفة ومن ثم كانت الجنة ذات درجات والنار ذات دركات)[١].

ثم جاء قوله تعالى : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) متناسبا مع ما قبله ، ومرتبطا به أشد الارتباط ، وعلاقة الآية بما قبلها كونها تفصيلا لما أجمل فيها ، قال الألوسي : (فَمَنْ يَعْمَلْ إلخ تفصيل ليَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً ليروا أعمالهم) [٢]، فالآية (تَفْرِيعَ الْفَذْلَكَةِ، انْتِقَالًا لِلتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ إِثْبَاتِ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، وَالتَّفْرِيعُ قَاضٍ بِأَنَّ هَذَا يَكُونُ عَقِبَ مَا يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا)[٣]، وهذا قال به الزحيلي – كذلك – في تفسيره : " فمن يعمل مثقال....ألخ (تفصيل لِيُرَوْا أعمالهم)[٤]، حيث جاء الإجمال في (أعمالهم) ، والتفصيل في بيان أنواع من يصدر من الأجداث ، وبيان نوع أعمالهم خيرا أو شرا.

وبناء الجملتين التركيبي قائم على تقدير قيد (ترك لظهوره والعلم به من آيات أخر فالتقدير: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره إن لم يحبط ، ومن يعلم مثقال ذرة شرا يره إن لم يكفر)[٥]، وبناء الكلام على تقدير محذوف يتناسب مع مقصد الآية من الترغيب في أعمال الخير، والترهيب من أعمال السوء.

ولقوة الترابط بين الآيات عطف الجملة (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ) على ما قبلها ، فجميع الناس المؤمنين والكافرين أخرجوا من الأرض لأجل أن يروا أعمالهم ويحاسبوا عليها ، فهذا وقت الحساب والجزاء.

---

(١) روح المعاني ، ٤٣٨/١٥

(٢) روح المعاني ، ١٥/ ٤٣٧.

(٣) التحرير والتنوير، (٤٩٤/٣٠).

(٤) التفسير المنير للزحيلي ،٣٥٩/٣٠.

(٥) روح المعاني ، ١٥/ ٤٣٧.

والعلاقة بين فعل الشرط (يَعْمَلْ) وجواب الشرط (يَرَهُ) علاقة تلازمية، وهذا يقوي لحمة الترابط الناتج عن التناسب والتماسك بين الجمل في الجملتين.

والجملة الثانية (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) عطف على الأولى، لقوة الترابط والتناسب، فالمسند والمسند إليه فيهما متحد (يعمل هو)، و"شرا" ضد "خيرا".

و(الذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء)[1]، (قال ابن عباس: إِذَا وَضَعْتَ رَاحَتَكَ عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ رَفَعْتَهَا فَكُلُّ وَاحِدٍ مِمَّا لَزِقَ بِهِ مِنَ التُّرَابِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَمِلَ خيرا أو شرا قليلا كان أَوْ كَثِيرًا إِلَّا أَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهُ)[2]، (ومِثْقَالَ ذَرَّةٍ زنة نملة أو هباء، هو مثل في الصغر)[3]، وقيل فيها (هُوَ تَنْبِيه بالأدنى على أَنه فِي غَيره أولى)[4] ، وعلى كلٍ فالتعبير بالذرة في وزن الأعمال خيرا أم شرا يتناسب مع مقصد الآية من الترغيب في عمل الخير وعدم استصغار أي أمر، والترهيب من أعمال الشر وعدم استصغار أي ذنب ، فكل الأعمال معروضة على الله سبحانه وتعالى وسيجازون على أعمالهم ولا يهمل الله تعالى شيئا ولو مثقال ذرة ، ويتعامل معها بفضله وكرمه إما بمضاعفة ثواب الخيرات ، وإما بالعفو عن الذنوب والسيئات.

---

(١) إعراب القرآن وبيانه ، درويش ،(٥٥٠/١٠).

(٢) التفسير الكبير = مفاتيح الغيب ، للرازي ، (٢٥٧/٣٢).

(٣) التفسير المنير للزحيلي ،٣٥٩/٣٠.

(٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش – محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، (ص٣٦١).

وهذه الآية (نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ كَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِيهِ السَّائِلُ فَيَسْتَقِلُّ أن يعطيه الثمرة وَالْكِسْرَةَ وَالْجَوْزَةَ، وَيَقُولَ : مَا هَذَا بِشَيْءٍ، وَإِنَّمَا نُؤْجَرُ عَلَى مَا نُعْطِي وَنَحْنُ نُحِبُّهُ، وَكَانَ الْآخَرُ يَتَهَاوَنُ بالذنب اليسير الكذبة وَالْغِيبَةِ وَالنَّظْرَةِ وَيَقُولُ : لَيْسَ عَلَيَّ مِنْ هَذَا شَيْءٌ، إِنَّمَا أَوْعَدَ اللَّهُ بِالنَّارِ عَلَى الْكَبَائِرِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – يُرَغِّبُهُمْ فِي الْقَلِيلِ مِنَ الْخَيْرِ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَكْثُرَ، وَيُحَذِّرَهُمُ الْيَسِيرَ مِنَ الذَّنْبِ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَكْثُرَ : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) إِلَى آخِرِهَا)[1]، والتعبير بالذرة يتناسب مع سبب النزول للآية ، فإن هذا الرجل الذي يستقل ما يتصدق به، والآخر الذي يستصغر المعصية ، ناسبه ذلك التعبير بمثقال الذرة التي هي أصغر من النملة حجما، والله لا يهمله خيرا كان أم شرا، بل يجازي عليه.

(١) أسباب نزول القرآن المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان ، الناشر: دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م ، (٤٦٢/١).

المبحث الثالث

وجوه التناسب البلاغي في فواصل(خواتيم الآيات) سورة الزلزلة

اقتضت قوانين البنية اللغوية القرآنية نوعا من الألفاظ التي اصطلح علماء المعاني على تسميتها بالفواصل ، وقد لمسنا من خلال نظرنا في طبيعة هذه الألفاظ وعلاقتها بالسياقات التي ختمتها نوع العلاقة التلازمية دلاليا [١] .

والفاصلة لم تأت في الكلام لمجرد التكرار أو التلوين في الأسلوب ، بل للتناسب مع الغرض المقصود من السورة وآياتها ، وبهذا يتسع علم التناسب ليشمل الفاصلة القرآنية ، فنجد تلك الحروف التي تنتهي بها آيات سور القرآن الكريم (متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت ، والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب)[٢].

والفاصلة لغة :

الفاصلة مشتقة من الفعل "فصل" وجمعها فواصل ، والفصل هو المسافة بين الشيئين ، أو الحاجز بين الشيئين ، والفصل هو القضاء بين الحق والباطل [٣].

الفاصلة اصطلاحا:

قال الرماني : " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام

(١) ينظر : الفاصلة القرآنية . د . عبد الفتاح لاشين / ٦

(٢) إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، نشر دار الكتاب العربي بيروت ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م ، ص ١٥٠.

(٣) ينظر: لسان العرب ، لابن منظور ، ١٠ /٢٧٣.

المعاني"[١].

وعرفها الباقلاني : (الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها إفهام المعاني)[٢].

وقال ابن منظور : " وآخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر – جل كتاب الله عز وجل – واحدتها فاصلة "[٣].

وورد عن الزركشي: (هي كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر وقرينة السجع)[٤].

وعرفها الشيخ مناع القطان بقوله: (ونعني بالفاصلة: الكلام المنفصل مما بعده، وقد يكون رأس آية، وقد لا يكون، وتقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي، سميت بذلك لأن الكلام ينفصل عندها)[٥]

أثر الفاصلة :

وللفاصلة أثر في النص القرآني، فالفاصلة تقع (عِنْدَ الِاسْتِرَاحَةِ فِي الْخِطَابِ لِتَحْسِينِ الْكَلَامِ بِهَا وَهِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي يُبَاينُ الْقُرْآنُ بِهَا سَائِرَ الْكَلَامِ وَتُسَمَّى فَوَاصِلَ لِأَنَّهُ يَنْفَصِلُ عِنْدَهَا الْكَلَامَانِ وذلك أن آخر الآية قد فَصْلٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا بَعْدَهَا) [٦].

---

(١) النكت في إعجاز القرآن ، للرماني ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرماني والخطابي والجرجاني ، ص٩٧.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤مـ ،ص٢٧٠.

(٣) لسان العرب ، ابن منظور ، ج١١ ، ص١٨٩ ، حرف (ف) ، مادة (فصل).

(٤) البرهان في علوم القرآن ، ج١، ص ٥٣.

(٥) مباحث في علوم القرآن ، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ١، ص١٥٣.

(٦) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ١/٥٤.

ونجد في الكلام المنثور كثيرا ما يجعل الأديب في كتاباته المعنى تابعا للسجع في نصه، مراعاة للتناسب بين مقاطع ما كتب، لكن القرآن الكريم يترفع عن ذلك، فالفواصل فيه تابعة للمعاني، ومناسبة للسياق الذي جاءت فيه (فإذا كان للمعنى الواحد أكثر من لفظ يدل عليه ، فإنه يترجح اللفظ الذي تتم به هذه الرعاية)[١]، وللفاصلة القرآنية مزية مهمة في ارتباطها بما قبلها؛ لأنه تمهيد لها، فلو حذفت لاختل المعنى، وكذلك علاقتها في السياق بما بعدها، وكذلك علاقتها بمقطعها التي وردت فيه.

ولتناسب الفواصل أثر عميق في اعتدال نسق الكلام وحسن وقعه وتأثيره في النفوس ، يقول صاحب البرهان : (وَاعْلَمْ أَنَّ إِيقَاعَ الْمُنَاسَبَةِ فِي مَقَاطِعِ الْفَوَاصِلِ حيث تطرد متأكد جدا ومؤثر فِي اعْتِدَالِ نَسَقِ الْكَلَامِ وَحُسْنِ مَوْقِعِهِ مِنَ النَّفْسِ تَأْثِيرًا عَظِيمًا)[٢]، وكذلك فإن تناسب الفواصل لا يقف عند مجرد التأثير في النفس، ولكنه يساعد في اختزال الكلام في الذاكرة ، مع سهولة استرجاعه وترداده ، قال تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)[٣] ، أي: يسهل حفظه لمن أراد[٤].

يقول الرماني: "وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة ، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها" [٥].

---

(١) دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية ، عبدالجواد محمد طبق، نشر : دار الأرقم ، ط١، ١٩٩٣م - ١٤١٣هـ ، ص١٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن ، ج١/ ص٦٠

(٣) سورة القمر ، الآية ١٧.

(٤) يراجع كتاب دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية ، عبدالجواد محمد طبق ، ص ١٢.

(٥) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن الكريم ، ص ٩٨.

علاقة الفاصلة بما قبلها:

الفاصلة القرآنية لابد أن يكون لها علاقة مع موضوع الآية القرآنية ، ولكن منه ما يظهر بسهولة ويسر ، ومنه ما يستخرج بالتأمل، وقد أطلق العلماء على علاقة الفاصلة بقرينتها (الآية) ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام ، قال الزركشي: (اعْلَمْ أَنَّ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَتَأَكَّدُ فِيهَا إِيقَاعُ الْمُنَاسَبَةِ مَقَاطِعُ الْكَلَامِ وَأَوَاخِرُهُ وَإِيقَاعُ الشَّيْءِ فِيهَا بِمَا يُشَاكِلُهُ فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مُنَاسِبَةً لِلْمَعْنَى الْمَذْكُورِ أَوَّلًا وَإِلَّا خَرَجَ بَعْضُ الْكَلَامِ عَنْ بَعْضٍ وفَوَاصِلُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لَا تَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ لَكِنَّ مِنْهُ مَا يَظْهَرُ وَمِنْهُ مَا يُسْتَخْرَجُ بِالتَّأَمُّلِ لِلَّبِيبِ) [(١)] وقد حصر العلماء هذا الائتلاف في أربعة مواضع هي :التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال.

تناسب فاصلة سورة الزلزلة مع السياق والمقصود العام لها:

إن أكثر فواصل آيات القرآن الكريم تكون بالميم والنون المسبوقة بحروف المد، وحكمته (وجود التمكين من التطريب)[(٢)]، واختيار الفاصلة لسورة الزلزلة لا يقع تحت وطأة التوحد الشكلي في اختيار المفردة التي تنتهي بها الآية" الفاصلة"، وإنما يتفرد بقالب صوتي معين ينسجم مع طبيعة المواقف التي تصور الحدث لما تمتلكه الأصوات من (أثر خاص يوحي إلى السمع بتأثيرات مستقلة تمام الاستقلال على تأثيرات المعنى وعن مجرد كون اللفظ رقيقا وغير رقيق)[(٣)]، وليتناسب هذا الإيقاع الصوتي مع ما تدعو إليه السورة ومقصدها العام، فالصوت لا يمتلك القدرة على التصوير وترسيخ المعنى في ذهن المتلقي وحده ، وإنما من خلال موقعه في السياق.

---

(١) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج١ ، ص ٧٦، ٧٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج١، ص٢٨.

(٣) التوجيه الأدبي : طه حسين وآخرون : دار الكتاب العربي : مصر : ١٩٥٤ م :١٣٨ .

وسورة الزلزلة تتميز فاصلتها بعدم التوحد ، فإذا نظرنا إلى الفاصلة في سورة الزلزلة في الآيات الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة (زِلْزالَها ، أَثْقالَها ، مَا لَها، أَخْبارَها، أوحى لَها)، باعتبار حرف الروي ووزن الفاصلة، فالفاصلة بذلك تندرج تحت المتوازي : وفيه تتفق الفاصلتان في الوزن والقافية دون ألفاظ القرينتين[1] .

أما إذا نظرنا إلى فاصلة سورة الزلزلة بحسب حرف الروي فقط دون الوزن فهي من الفواصل المتماثلة : التي تنتهي بحرف روي واحد، فالفاصلة مطردة على حرف الألف الممدودة .

ففي الآية الأولى قوله تعالى : (إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها) ، الفاصلة (زلزالها) وعلاقة الفاصلة بسياق الآية (التمكين)[2]، فالمعنى لا يتم إلا بها ، وهي نتيجة حتمية لبداية الآية ، فلو حذفت لما اكتمل المعنى ، فهي تتناسب مع صدر الآية ، ومتعلقة بها إعرابيًا ومعنويًا، فهي مفعول مطلق منصوب ، فإذا سمع أي شخص بداية الآية ، يجد الذهن يستدعي الفاصلة (زلزالها)؛ لتعلقها بما قبلها تعلق المقدمة بالنتيجة، فالخطاب القرآني موجه من الله عز وجل إلى الناس يصف فيه يوم البعث وأشراط الساعة وما في هذا اليوم من اضطراب وحركة عنيفة للأرض.

ثم إن صوت الألف – وهو من حروف المد – في نهاية الفاصلة " زلزالها" وظف ليمنح صورة الزلزال الشديد صوتًا مديًا واضحًا مرعبًا ومطلقًا في نهاية الآية

(١) ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع ، السيد صدر الدين بن معصوم المدني ، تح: شاكر هادي شكر، ط١، ١٩٦٨م ، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ٦/٢٥٠.

(٢) (التَّمْكِينُ : هو أَنْ يُمَهِّدَ قبل الفاصلة تَمْهِيدًا تَأْتِي بِهِ الفاصلة مُتَمَكِّنَةً فِي مَكَانِهَا مُسْتَقِرَّةً فِي قَرَارِهَا مطمئنة في موضعها غَيْرَ نَافِرَةٍ وَلَا قَلِقَةٍ مُتَعَلِّقًا مَعْنَاهَا بِمَعْنَى الْكَلَامِ كُلِّهِ تَعَلُّقًا تَامًّا)، الاتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ،ج٣ ، ص ٣٤٧.

فهو غير مقيد بحدود ولا وقت ، كما عهده الإنسان في الزلازل الطبيعية، التي تقع في مكان معين من الأرض من دون الأماكن الأخرى في الحياة الدنيا قبل البعث، ولو كان التعبير القرآني في الفاصلة – هنا – اختار التعبير بلفظ (الزلزال) بدلا من (زلزالها) وكان سياق الآية (إذا زلزلت الأرض الزلزال) ، لكان الزلزال مقيدا بحدود ووقت ، ومعهود بصفات مميزة عند البشر، ولكن صفة المد الصوتي واتساع مخرج الألف أسهم في تكثيف ألوان الصورة ، وكأن المتلقي أحس بأن لتلك الأرض التي يعيش عليها زلزالا مخصوصا غير محدد المعالم ، وهذا لم يكن بمعزل عن السياق النصي للآيات القرآنية ؛ إذ تعاضد التواشج الصوتي والدلالي على خلق صورة عملقة المعنى في ذهن المخاطب وأثرت في أعماقه [1].

والفاصلة في الآية في قوله تعالى : (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) ، قوله: (أَثْقَالَهَا) ، وهي تتناسب مع صدر الآية كالآية السابقة ؛ لتعلقها بصدر الآية تعلق التمكين ؛ ولارتباطها به ارتباط النتيجة للمقدمة ، فإذا قيل : (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ)، فإن الذهن يصول ويجول ليعرف ماذا أخرجت الأرض ، فإذا جاءت الفاصلة (أثقالها) تمكنت في النفس فضل تمكن، والفاصلة كما ذكر مختومة بالألف المدي، الذي يوفر تصويرا غير محدد للأثقال ولا لحجمها، وكأن الأرض لفظت أثقالًا لا حدود لها مما في باطنها من أموات وكنوز وأسرار وغيره.

وكذلك في الآية الثالثة قوله تعالى: (وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا) ، الفاصلة قوله: (ما لها) تتعلق تعلقا تاما بما قبلها وتتناسب مع السياق العام لها، فهي في محلّ نصب مقول القول، فالعلاقة بين صدر الآية وفاصلتها علاقة استلزام ؛ إذ إن القول

(١) ينظر : بنية اللغة الشعرية : جان كوهن كوهن : ت. محمد الولي ومحمد العمري : دار توبقال :ط ١، ص١٩٨٦.

يستلزم مقول قول لا محالة، فصدر الآية يستدعي خاتمتها ويتناسب معها ويرتبط بالآيات السابقة ، فيقوى التلاؤم والتلاحم بين أجزاء السورة .

والفاصلة في الآية الرابعة : (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها) ، قوله: (أَخْبارَها)، متعلقة معنويا ولفظيا بصدر الآية ، فالأرض تحدث في ذلك اليوم جميع الخلائق بكل ما فعلوه ،(وَأَصْلُهُ تُحَدِّثُ الْخَلْقَ أَخْبَارَهَا إِلَّا أَنَّ الْمَقْصُودَ ذِكْرُ تَحْدِيثِهَا الْأَخْبَارَ لَا ذِكْرُ الْخَلْقِ تَعْظِيمًا)[1]، وختم الفاصلة بالألف ؛ لأن الألف يعطي الحدث قوة ويوحي بأن الأخبار لا حدود لها من الكثرة ، لما يعطيه المد في الألف من الإطالة في النطق والتلفظ.

والآية الخامسة قوله تعالى : (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها)، نجد خاتمة الآية وفاصلتها (لها) ، وهي مثلها كمثل الفاصلة السابقة متعلقة بصدر الآية ، تعلق تمكين ، فهي جار ومجرور متعلق بالفعل "أوحى"، فالفاصلة متممة للمعنى ولا يكتمل المعنى إلا بها ، لأنه إذا ذكر " بأن ربك أوحى " تجعل النفس تتسائل لمن أوحى عز وجل ؟ فتأتي الفاصلة موضحة لمن الإيحاء وإجابة عن السؤال.

فالآيات الخمس ختمت فاصلتها بحرف الألف، وهو يمتاز بخصائص مختلفة ، فصوت الألف من أخف الأصوات العربية[2]، وهو من الأصوات اللغوية المجهورة التي يهتز معها (الوتران الصوتيان نتيجة انقباض فتحة المزمار وضيق مجرى الهواء واقتراب الوترين اقترابا يسمح للهواء بالتأثير فيهما بالاهتزاز)[3]؛ ولذا فصوت الألف يمنح المعنى الذي هو فيه الصفات والخصائص السابقة .

---

(١) تفسير الرازي – مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، (٢٥٥/٣٢).

(٢) ينظر : جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر ،ص١٤٩.

(٣) الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس : مكتبة الأنجلو المصرية ط ٤، ١٩٧١مـ ، ص ٢١.

فالخطاب القرآني موجه من الله عز وجل إلى الناس يصف فيه يوم القيامة وما يصحبه من حركة عنيفة للأرض: (إذا زلزلت ...إلى وأن ربك أوحى لها) ، فيتصور المتلقي من خلالها النهاية التي لا يمكن أن يحدد حجمها وقوتها في نهاية كل آية ؛ لمرور الهواء في الحلق والفم وخلو مجراه من أية موانع أو حوائل تعترضه ؛ لذا وفر صوت الألف المجهور درجة عالية من الوضوح والامتداد في أسماع المخاطبين ، فحمل أصدائه للصورة لما أضفاه التوظيف الصوتي على التكوين السياقي من قوة تعبيرية غالبا ما تمنحها الأصوات المدية [١] ، ولا تتحقق تلك الدرجة من الوضوح السمعي عند المتلقي فيما لو وظف صوت آخر؛ لكونه (يمثل أعلى درجات الوضوح السمعي من بين أصوات اللغة العربية لما فيه من حزم صوتية عالية) [٢].

وفي الآية السادسة ، قوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) (الزلزلة : ٦)، خاتمة الآية قوله : (ليروا أَعْمالَهُمْ) ، والتناسب متحقق بين صدر الآية وخاتمتها (الفاصلة)؛ حيث إن (ليروا أعمالهم) تعليل لصدر الآية ، فجميع الناس يخرجون من قبورهم ، (أَيْ: يَصْدُرُونَ لِأَجْلِ تَلَقِّي جَزَاءِ الْأَعْمَالِ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَيُقَالُ لِكُلِّ جَمَاعَةٍ : انْظُرُوا أَعْمَالَكُمْ، أَوِ انْظُرُوا مَآلَكُمْ)[٣].

وفاصلة الآية ختمت بحرف (الميم)، وهذا الحرف حرف مجهور[٤] فيه

(١) الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المد العربية ، د. غالب فاضل المطلبي: دار الحرية- بغداد:١٩٨٤مـ ، (٣٠٧- ٣١١).

(٢) منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري : د .قاسم البريسم : دار الكنوز الذهبية : ط ١، . ٢٠٠٠ م ، ص ٦٩.

(٣) التحرير والتنوير ،٣٠/٤٩٤.

(٤) سر صناعة الإعراب ،ابن جني ، (٨٩/٢).

رخاوة، وهو يخرج من الشفتين ، و(الفاصلة " الميم" حاضرة لتستوعب الإيقاع الصوتي في الحدث ؛ لكونها أوقع في النفس ، وأدق في رسم الصورة، لما يمتاز به صوت الميم من إيقاع هادئ رخو؛ لأنه من الأصوات شفوية المخرج ، ولا تحتاج إلى جهد في النطق [١].

ونلاحظ عدم تماثل هذه الفاصلة لفاصلة الآيات السابقة، فهناك مخالفة وعدول عن تماثل فواصل الآيات السابقة واللاحقة، فالآيات السابقة فاصلتها (الألف)، وهذه الآية فاصلتها (الميم)، وذلك لتناسب كل فاصلة مع معاني آياتها، فالآيات السابقة تتحدث عن حركة الأرض العنيفة بالزلزال واضطرابها وتشققها وخروج الناس من القبور فرقا أشتاتا، وتحديث الأرض الخلائق بالأخبار، وهذا يحتاج لحرف فيه صفة المد والجهر والقوة، فيتحقق فيه انفتاح الفم وخروجه بلا حدود ولا نهاية كالمشهد المعبر عنه، أما الآية التي فاصلتها (الميم)، فهي تصور رؤية المؤمنين والكافرين لأعمالهم، وهي تحتاج للحظة هدوء وترقب وتمعن للنظر في أعمالهم التي عملوها في الحياة الدنيا بدون انشغال بمن حولهم، كل مشغول في ذاته وعن أعماله، وذلك محتاج للهدوء والسكينة المتناسب مع حرف الميم.

ثم تأتي الآية السابعة والثامنة، ونجد المغايرة مرة أخرى في الفاصلة عن الآيات السابقة ، قال تعالى : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ(٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ(٨)) (الزلزلة) ، فالفاصلة (خاتمة الآية) في الآيتين " يره " تتناسب مع صدر الآية فيهما تناسبًا معنويًا ، فهي نتيجة حتمية ، لمن عمل الخير أو الشر في الحياة الدنيا ، فكل واحد منهما لا بد أن يرى عمله رؤية متحققة ، ولذا عبر بالرؤية بدلا من العلم ؛ لأن (الرُّؤْيَة لَا تكون إِلَّا الْمَوْجُود وَالْعلم يتَنَاوَل الْمَوْجُود

(١) الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس : مكتبة الأنجلو المصرية : ط ٤، ١٩٧١مـ ، ص ٢١.

والمعدوم) [١]، فكل البشرية سيرون أعمالهم رؤية متحققة قبل الجزاء ، وحالة كل شخص تكون مختلفة عن الآخر على حسب رؤيته لأعماله بالفرح والسرور، أو الحزن والعبوس، وختم الفاصلة بحرف(الهاء) وهو من صفاته الرخاوة [٢]، والضعف ، والهمس[٣]، تجعل الذهن يتصور جميع الناس في هذا الموقف، وكلٌ معه كتابه ينظر فيه في صمت؛ ليرى نتيجة أعماله، بعد المواقف الشديدة التي مر بها، وهو في حالة هلع وخوف وتشتت، فناسب ذلك المجيئ بالفاصلة مختومة بالهاء .

فوصف الهدوء وروية القراءة في الآية السابقة لم تدم طويلا ، إذ أعاد الخطاب المتلقي إلى التأزم النفسي والانحباس ، على وفق رؤيته لتلك الأعمال ، فهذا الكتاب لا يفارق صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها في كتاب مبين [٤].

ففاصلة الهاء فاصلة ثالثة نُسجت في أواخر الآيات؛ لتعطي السورة القرآنية بعدًا صوتيًا موحيًا، إذ جاءت لتسهم في تحقيق ما يمكن تحقيقه من خلال وقعها وجرسها وخصائصها الصوتية التي يصفها علماء اللغة بالضعف والخفاء [٥].

---

(١) الفروق اللغوية المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ،(٩٤/١).

(٢) ينظر: صفحات في علوم القراءات المؤلف: د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي الناشر: المكتبة الأمدادية الطبعة: الأولى- ١٤١٥ هـ ، (٢١٧).

(٣) ينظر : سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، (٢٠٣/٢).

(٤) التفسير البياني للقرآن الكريم : د .عائشة عبد الرحمن : دار المعارف : مصر : ط ٤، ١٩٧٤م ،١٠٠/١.

(٥) ينظر : جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي ، د. ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد للنشر، ١٣٧.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد الانتهاء من دراسة التناسب البلاغي في سورة الزلزلة ، توصلت إلى مجموعة من النتائج .

ومن النتائج :

١- إذا كان علماء البلاغة قد بحثوا هذا الجانب الجمالي من مستوى التلاؤم أو التناسب في الكلام ليستنبطوا مجموعة الضوابط في الكلام المتلائم ، فإن النص القرآني قد تفرد بكونه في الطبقة العليا المعجزة من التناسب أو التلاؤم إذ تحقق هذان العنصران الجماليان من حيث المضامين أو الأفكار والشكل أو التراكيب .

٢- تحققت كل وجوه التناسب في سورة الزلزلة وتعددت مظاهره، حيث ظهر التناسب بين السورة واسمها، وبينها وبين سابقتها ولاحقتها وخاتمتها وبين آياتها.

٣- تجلت مظاهر التناسب التركيبي في السورة من حيث التراكيب اللغوية المكونة لبناء السورة، وفضلا عن ذلك فقد وظفت صيغ أفعال غلب على أوزانها ما يوحي بمعاني الشدة ، وهو نوع من التلاؤم الشامل لكل عناصر الكلام .

٤- ظهر التناسب بين آيات السورة وفاصلتها وتعددت الفاصلة القرآنية ، وكان لها دور كبير في إبراز المعنى ، وهي مرتبطة ببداية الآية بما يحقق التجانس بين مضمون الآية والتعقيب الذي تصل إليه ، وهذا كله من عناصر الإعجاز القرآني.

وبعد ، فأرجو من الله أن أكون قد توصلت إلى جزء – ولو يسير – من ملامح التناسب البلاغي في سورة الزلزلة، فالقرآن الكريم بحر زاخر بالأسرار التي لا يستطيع أحد الوصول إلى نهاية أعماقه مهما تسلح من علم ومن مهارات .

فهرس المراجع والمصادر

١. الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي، ت فواز أحمد ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ط ١ ٢٠٠٣م .

٢. أسباب نزول القرآن المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان ، الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.

٣. الإعجاز البياني بين النظرية والتطبيق،د.حفني محمد شرف : مطابع الأهرام الأهلية، الجمهورية العربية المتحدة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠مـ .

٤. إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م.

٥. إعراب القرآن وبيانه المؤلف : محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ) الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ .

٦. الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس : مكتبة الأنجلو المصرية :ط ٤، ١٩٧١مـ.

٧. الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد العربية ، د. غالب فاضل المطلبي: دار الحرية- بغداد: ١٩٨٤مـ .

٨. الأقصى القريب في علم البيان، محمد محمد التنوخي ، ط١، ١٣٢٧هـ .

٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

١٠. أنوار الربيع في أنواع البديع ، السيد صدر الدين بن معصوم المدني ، تح: شاكر هادي شكر، ط١، ١٩٦٨مـ ، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.

١١. الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، دار الإحياء والعلوم ، بيروت ، ط٤.

١٢. البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

١٣. البرهان فى تناسب سور القرآن المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ) تحقيق: محمد شعباني دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب عام النشر: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .

١٤. البرهان في علوم القرآن المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، ج ١.

١٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة .

١٦. بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، كامل حسن البصير ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٧٨مـ .

١٧. التصوير الصوتي في سورة الزلزلة، هادي سعدون هنون العارضي، بحث منشور ، جامعة الكوفة .

١٨. التفسير البياني للقرآن الكريم : د .عائشة عبد الرحمن : دار المعارف مصر، ط ٤، ١٩٧٤مـ

١٩. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ١٤١٨ هـ .

٢٠. التناسب في سورة البقرة ، د. طارق مصطفى محمدحميدة ، رسالة ماجستير ، جامعة القدس ، ٢٠٠٧مـ .

٢١. التناسب في سورة محمد (دراسة بلاغية تحليلية) ، د. أحمد يحيى على محمد ، ود.أحمد محمد على محمد ، منشور في مجلة الرافدين ، العدد ستون ٢٠١١مـ .

٢٢. التناسب في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، الجمهورية الجزائرية ، جامعة الشهيد حمة لخضر– الوادي – ، للباحثة / هناء غميمة ، ط.٢٠١٦– ٢٠١٧مـ .

٢٣. تناسق الدرر في تناسب السور ، للسيوطي ، دراسة تحقيق ،عبدالقادر أحمد عطا ، طبع :دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
٢٤. الجدول في إعراب القرآن الكريم المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ .
٢٥. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي ، د. ماه رمهدي هلال ، دار الرشيد للنشر .
٢٦. الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، تحقيق، محمد علي النجار، بيروت – عالم الكتب (د ت) .
٢٧. الحيوان المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ .
٢٨. دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية ، عبدالجواد محمد طبق، نشر: دار الأرقم ، ط١ ، ١٩٩٣م . ١٤١٣هـ .
٢٩. دلائل النظام ، عبدالحميد الفراهيدي الهندي، المطبعة الحميدية ، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ .
٣٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .

٣١. سر صناعة الإعراب المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولي ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

٣٢. سر الفصاحة المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: ٤٦٦هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م .

٣٣. سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م ، كتاب القدر عن رسول الله ، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره .

٣٤. شروح التلخيص ، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة : عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر .

٣٥. صفحات في علوم القراءات المؤلف: د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي الناشر: المكتبة الأمدادية الطبعة: الأولى- ١٤١٥هـ .

٣٦. الصوت اللغوي في القرآن : د .محمد حسين الصغير : دار المؤرخ : بيروت – لبنان : ط ١ ٢٠٠٠مـ .

٣٧. الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم محمد فريد عبد الله : دار ومكتبة الهلال بيروت، ط١، ٢٠٠٨مـ .

٣٨. علم الأصوات اللغوية ، د . مناف مهدي الموسوي : دار الكتب العلمية : بغداد ، ط٣ ٢٠٠٧م.
٣٩. علم المناسبات في السور والآيات؛ للدكتور محمد عمر سالم بازمول، الناشر: المكتبة المكية ، مكة المكرمة ، ط١ ٢٠٠٢م.
٤٠. الفروق اللغوية المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
٤١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
٤٢. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش – محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت .
٤٣. لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.
٤٤. مباحث في علوم القرآن ، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ١.
٤٥. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد المؤلف: محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: ١٣١٦هـ) المحقق: محمد

أمين الصناوي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٧ هـ .

٤٦. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

٤٧. المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ .

٤٨. مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٤٩. المناسبة في القرآن الكريم ،محمود حسن عمر جودة ، شبكة الألوكة.

٥٠. مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبدالعظيم الزرقاني ، تحقيق/ فواز أحمد زامرلي ، الناشر/ دار الكتاب العربي – بيروت – ط١ ١٩٩٥م.

٥١. مناهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري : د .قاسم البريسم : دار الكنوز الذهبية : ط ١، . ٢٠٠٠م .

٥٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ؛ للبقاعي، ت. عبدالرازق المهدي نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ط ٢ ١٤٢٤هـ ، ج١.

٥٣. النكت في إعجاز القرآن ، للرماني ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرماني والخطابي والجرجاني .

٥٤. نهاية الأرب في فنون الأدب المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ) الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ .